KING KHALID UNIVERSITY
جامعة الملك خالد
رؤية VISION 2030
المملكة العربية السعودية
KINGDOM OF SAUDI ARABIA

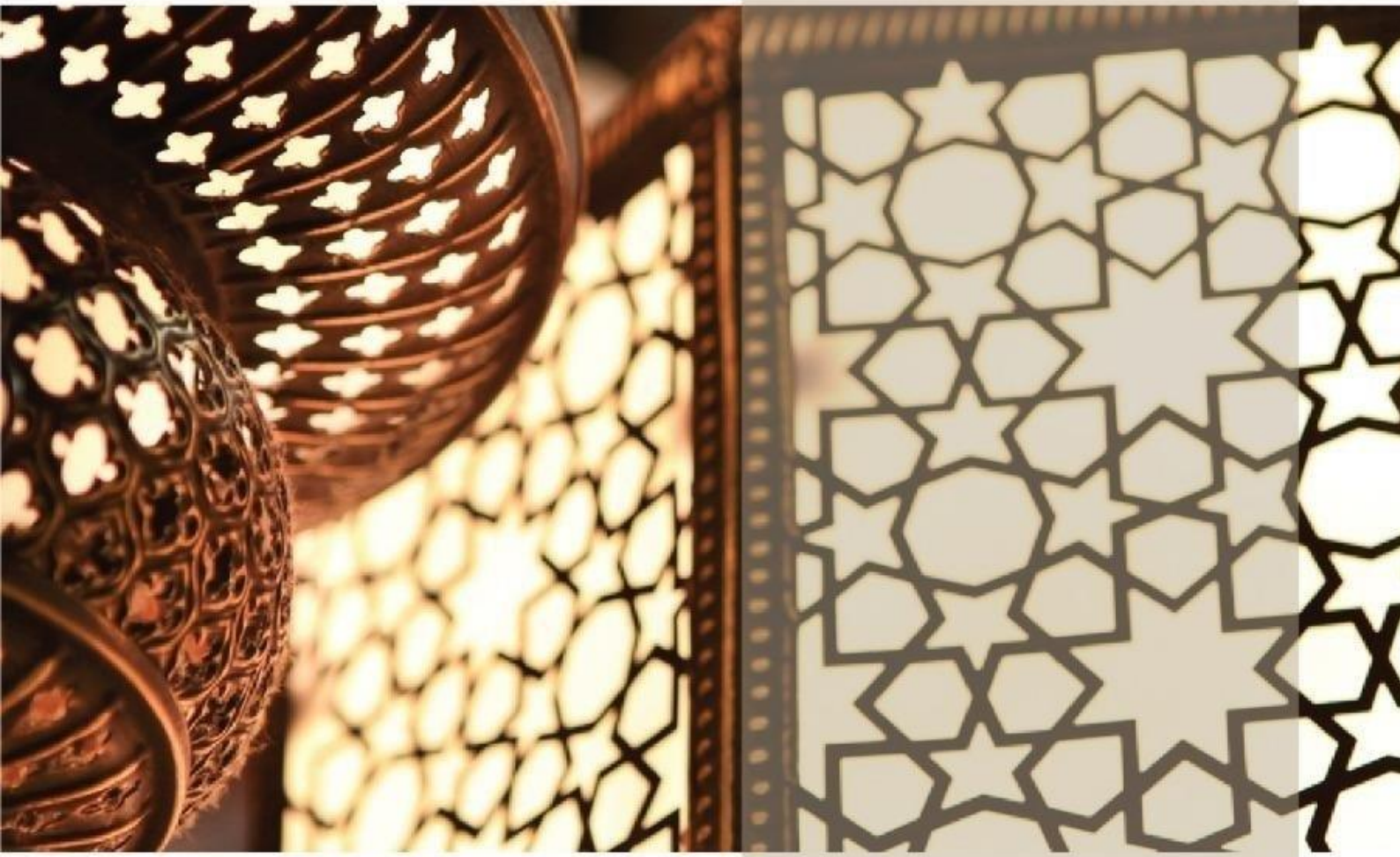

مجلة

جامعة الملك خالد للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية

علمية - دورية - محكمة

المجلد: العشرون العدد : الثالث

التاريخ: ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

مجلة علمية - دورية - محكمة

تُعنَى بنشر الأبحاث الشرعية

والدراسات الإسلامية

تصدر عن جامعة الملك خالد

أبها - المملكة العربية السعودية

المجلد (العشرون) العدد (الثالث)

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

رقم إيداع ١٤٢٤/٨١٤

بتاريخ ١٤٢٤/٢/١١هـ

الرقم الدولي المعياري (ردمك)

١٦٥٨-١١٨٠

الإشـــراف والتحـــرير

المشـرف العـام

أ.د. فالح بـن رجاء الله السلمي

رئيـس الجـامعة

نـائب المشـرف العـام

أ.د. حامد بـن مجدوع القرنـي

وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

رئيس التحـــرير

أ.د. خالد بـن محمد القرنـي

الهيئة الاستشارية

معالي الشيخ الأستاذ الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان	عضو هيئة كبار العلماء (سابقاً)
الشيخ الأستاذ الدكتور سعد الخثلان	عضو هيئة كبار العلماء (سابقاً)
الشيخ الدكتور قيس المبارك	عضو هيئة كبار العلماء (سابقاً)
فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم	عضو هيئة كبار علماء الأزهر
فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور زاهر بن عواض الألمعي	أستاذ التفسير وعلومه
فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل	أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة
فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عياض بن نامي السلمي	أستاذ أصول الفقه
فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الزنيدي	أستاذ الثقافة الإسلامية

أعضاء هيئة التحرير

رئيس التحرير

أ.د. خالد بن محمد القرني
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة /جامعة الملك خالد.

أعضاء هيئة التحرير

١ **أ.د. محمد بن علي القرني**
أستاذ الأنظمة، وعميد كلية الشريعة وأصول الدين / جامعة الملك خالد.

٢ **أ.د. محمد بن ظافر الشهري**
أستاذ السنة وعلومها / جامعة الملك خالد.

٣ **أ.د. جبريل بن محمد حسن البصيلي**
عضو هيئة كبار العلماء، وأستاذ أصول الفقه / جامعة الملك خالد.

٤ **أ.د. يحيى بن عبد الله البكري**
أستاذ السنة وعلومها/جامعة الملك خالد.

٥ **أ.د. كمال مولود جحيش**
أستاذ المذاهب المعاصرة/ جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية/ الجزائر

٦ **أ.د. منيرة بنت محمد الدوسري**
أستاذ التفسير وعلوم القرآن/ جامعة الإمام عبدالرحمن بن فيصل بالدمام.

٧ **أ.د. عبد الرزاق مبروك بالعقروز**
أستاذ الفلسفة/ جامعة محمد لمين دباغين سطيف٢/ الجزائر.

٨ **أ.د. أحمد آل سعد الغامدي**
أستاذ الفقه/جامعة الملك خالد.

٩ **أ.د. عرفات أحمد مقبل السهيلي**
أستاذ علم الأديان / جامعة تعز/ اليمن

١٠ **أ.د. عبد الحميد سيف أحمد الحسامي**
أستاذ اللغة العربية وآدابها / جامعة الملك خالد

١١ **د. محمد بن سالم الشغيبي**
الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية/جامعة الملك خالد.

رؤيـــة المجلـــة:

ريادة إقليمية في نشر البحث العلمي وسعي للوصول لأفضل تصنيف عالمي في مجالات نشر البحوث.

رسالـــة المجلـــة:

إثراء الحركة العلميّة بخدمة العلم الشرعي بفروعه المختلفة ، وإتاحة الفرصة للباحثين لنشر أبحاثهم فيها لتكون واجهة ثقافيّة مشرقةً للجامعة.

قيـــم المجلـــة:

١. الأمانـــة.

٢. العـــدل.

٣. الوسطية.

٤. الإتقـان.

أهـداف المجلـــة:

١. خدمة البحث العلمي الشرعي الدقيق وفق المنهج الصحيح.

٢. معالجة المشكلات المعاصرة والقضايا المستجدة وفق الأصول الشرعية.

٣. إثراء الحركة العلمية بالبحوث المتميزة بما يحقق رؤية الجامعة ورسالتها وأهدافها.

٤. إيجاد وسيلة لنشر العلوم الشرعية تمكن الباحثين من نشر بحوثهم وفق منهج البحث العلمي.

٥. التواصل العلمي والبحثي مع علماء الإسلام في كل مكان.

٦. الاهتمام بتحقيق التراث الإسلامي ونشره.

عنوان المجلة:

مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية

أبها ص.ب: (٩٠١٠)

وتتم المراسلات باسم رئيس هيئة تحرير المجلة:

Email: almajallah@kku.edu.sa

الموقع الإلكتروني للمجلة

(https://jisais.kku.edu.sa)

قواعد النشر

أولاً- شروط النشر:

١. أن يتقيد البحث بالضوابط الشرعية والسياسات التعليمية والأنظمة المرعية للمملكة العربية السعودية.
٢. أن يتصف البحث بالأصالة والجدة.
٣. التقيد بقواعد البحث العلمي المتعارف عليها.
٤. يمكن للبحث أن يكون جزءاً من كتابٍ للباحث، أو مستلاً من رسالة نال بها درجةً علميةً.
٥. إذا كان البحث قد سبق نشره في منافذ نشر أخرى فلا تتحمل المجلة أية تبعات قانونية حيال ذلك.
٦. ألا يزيد عدد كلمات البحث عن عشرة آلاف كلمة.
٧. يشتمل الملخص على: عنوان البحث، ومشكلة البحث، وأسئلته، والمنهج المتبع، وأهم النتائج.
٨. تشتمل مقدمة البحث على: عنوان الدراسة، ومشكلة البحث، أسئلته، والمنهج المتبع، والدراسات السابقة، والإضافة العلمية، ثم يذكر مخطط البحث وطريقة ترتيبه.

ثانياً- تعليمات النشر:

- يقدم الباحث عمله من خلال الإرسال على الموقع الخاص للمجلة: (https://itcsvc.kku.edu.sa/KKU_ScientificJournals/faces/login.xhtml)، **مدونًا بنظام** (word) **وفق الآتي:**

- **نوع الخط** (Traditional Arabic).
- **نمط المتن** : (١٦)، **والهوامش والمراجع** : (١٢) **والعناوين** (١٨).

- يرفق مع البحث ما يأتي:

- ملخص باللغتين العربية والإنجليزية لا يزيد عن (٢٠٠) كلمة.
- إرفاق ما يثبت اعتماد ترجمة الملخص باللغة الإنجليزية من مركز متخصص، بحيث يكون الختم على ذات الترجمة في الـ pdf المرفق.
- ملخص السيرة الذاتية، يتضمن: (الاسم، الدرجة العلمية، التخصص الدقيق، العمل الحالي، أهم الإنجازات العلمية، عنوان المراسلة، والبريد الإلكتروني، رقم الهاتف).

- التزام التوثيق والإشارة إلى مصادر البحث وفق الطريقة الآتية:

- وضع هوامش كل صفحة في أسفلها؛ وتكون أرقام الحواشي بين قوسين.
- كتابة الآيات القرآنية وفق الرسم العثماني، معزوة في المتن؛ وتُحَمَّل من خلال هذا الرابط: (https://nashr.qurancomplex.gov.sa/site/).
- يجب أن تكون بيانات المراجع الملحقة في آخر البحث كاملةً وغير مختصرة لكل مرجع، وأن يلتزم في كتابتها بأسلوب MLA.

ثالثًا- إجراءات التحكيم والنشر:

- تخضع جميع البحوث للتحكيم العلمي، وفق اللوائح والأنظمة والضوابط العلمية المتعارف عليها.
- ترتيب البحوث عند نشرها يخضع لاعتبارات فنية، والأصل في ذلك مراعاة الترتيب الزمني.
- تحتفظ المجلة بحقها في نشر البحث في العدد المناسب، أو إعادة نشره في أي صورة كانت.
- تعبر المواد المنشورة عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

محتويات العدد

١ [٥-٥٩] عقيدة التجسُّد عند النصارى "الاستمداد والتطوُّر"
د. عبد الله بن علي بن عبد الله الشهري (جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز)

٢ [٦٠-٩٨] الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[البقرة: ٣١] على أن مبدأ اللغات توقيفي "دراسة أصولية مقارنة"
أ.د. علي بن خضران بن محمد لعمري (جامعة الملك خالد)

٣ [٩٩-١٣٣] رسالة في حكم أخذ المدرسين والطلاب لغلة الوقف مع عدم تدريسهم تأليف/ الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (ت ١٠٣٣ هـ) "دراسة وتحقيق"
د. ندى بنت تركي المقبل (جامعة الملك سعود)

٤ [١٣٤-١٨٨] تعريفات الفحول في تعريفات الأصول لضياء الدين حامد بن يوسف البندرموي الأسكداري الحنفي المتوفى سنة (١١٧٢هـ) رحمه الله تعالى من بِداءة باب الدال المهملة إلى نهاية باب الظاء المعجمة
د. خلود بنت محمد العصيمي (جامعة الطائف)

٥ [١٨٩-٢٥٣] تعريفات الفحول في تعريفات الأصول لضياء الدين حامد بن يوسف بن حامد الباندرموي الأسكداري الروميَ النقشبندي الحنفي (ت١١٧٢هـ) رحمه الله تعالى من بِداءة (فصل السين المعجمة بعد الميم) إلى (نهاية المخطوط) دراسةً وتحقيقًا
د. فهد بن محمد بن عبد الله القحطاني (جامعة الملك خالد)

٦ [٢٥٤-٣٢٤] استخدام الشباب السعودي لشبكات التواصل الاجتماعي وعلاقته بالوعي بالمفاهيم والموضوعات العقدية ونشرها في ظل جائحة كورونا "دراسة مسحية على عينة من سكان مدينة الرياض"
د. فضة بنت سالم بن عبيد العنزي (جامعة الملك سعود بن عبد العزيز للعلوم الصحية)

كلمة رئيس التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ، وعلى آله، وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. ثم أما بعد:

فقد اعتدت منّا أيها القارئ الكريم طيلة الأعداد السابقة على أنْ تكون هذه المقدمةُ صريحةً جريئةً لا تهدف إلا للنصيحة، والرغبة في مخاطبة النفوس بعمقٍ وواقعية؛ رغبةً منّا في وقوف المتخصصين في العلم الشرعي على الطريقةِ الصحيحة لمراجعة الأبعاد الكامنة خلف سايكلوجيا البحث العلمي وسلوكيات النفس ومواقفها في الحقل الأكاديمي، ولعل مهتماً أنْ يبدأ من نقطة البناء الصحيحة إنْ كان في طور اشتغاله الأولي بمجال البحث العلمي والتدريس في البيئة الأكاديمية. فأنت في كلّ مرةٍ تجد هذه الغاية تتكرر؛ ذلك أني ما زلت أرى بأن واقع البحث العلمي في الأوساط الشرعية يحمل العديدَ من المشكلات الكبرى، التي تؤثر في تطوره، وتنميته، وجودته، وفعالية أثره في المجتمعات.

ولذا فإننا حين نتحدث عن حقيقةِ معوقاتِ البحث العلمي في بيئة الأبحاث الشرعية، لن نحدثك بهذا كراصدٍ يبغي جمع البيانات، لتقرير عددٍ من النتائج المقررة سلفاً لخدمةِ انحيازٍ معرفيٍ خاص. بل الحديث هنا -إذا ما تركْتَ نفسك في مواجهةٍ صادقة معه- ستقف على واقعيته، وسيلامسك بحسب رتبة الصدق تلك، وسيجلي لك بعضاً من الأسباب الكامنةِ خلف الضعف الذي أعرفه وتعرفه جيداً في أبحاث الأساتذة والرسائل العلمية لطلبة الدراسات العليا التي تصدر من الأقسام الشرعية.

لا شك أنَّ البحث العلمي في حقيقته هو بيئةٌ إنسانيةٌ مجتمعية، تقوم على مقوماتِ فلسفاتِ البشر المعرفية، وتولَد مِن أدواتهم، وتُنتج ما يتصل بأفكارهم وخططهم وتأملاتهم وفرضياتهم...إلخ، بالإضافة إلى أنها تضم هذه النفوس البشرية إلى بعضها البعض في بوتقةِ الكيانات الإنسانية المتعددة؛ التي تحمل في صميمها فطرةَ الاختلاف التي نبه الله تعالى عباده عليها فقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾**[المائدة: ٤٨]**، وقال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾**[الأنعام: ٣٥]**،

فسمى تجاوز هذه الحقيقة -حين النظر في حقائق الأمور- بالجهل؛ مما دل على أنَّ رأس العلم والصواب يولد من رحم تلك الحقيقة. والبحث بوصفه طريقَ الوصول للحقائق وترسيخ المعارف هو مجتمعٌ للاختلاف، وهكذا هي تركيبة ماهيته؛ وحينئذٍ فإنَّ الباحثَ في الشريعة والعقائد والأديان أولى وأحق أفراد المجتمع العلمي بالوعي بهذه الماهية، والعمل بمقتضاها، بل والبناء على أساسها. وحين يُنَصّب نفسَه حاملَ لواء الحقيقة والحارس لها؛ فهو يَخرج عن هذا المبدأ، ويغدو في مواجهةٍ مع السنن الكونية التي وضعها الخالق الحكيم، مع أنه يـُخيل إليه -ويحسب نفسه- أنه عبد الله المخلص، الداعي إلى سبيله، المنفرد بحراسة الحقائق، وهذا أول مُعيقٍ حقيقي وواقعي للأبحاث العلمية في الشريعة عامة، وعلم الاعتقاد على جهةٍ خاصة، فواقع الوعي بالبحث العلمي ومضمونه -في عقولِ كثيرٍ من الباحثين والدراسين في المجال الشرعي- بعيدٌ مئات السنين الضوئية عن المفهوم القرآني للبحث العلمي وأسسه، وعن مفهوم الميثودلوجيا وتاريخها، أو علم المناهج بالكلية. فالبحث العلمي سبيل الفهم، وهو مظهرٌ من مظاهر محاولات العقل المتعددة والمتعثرة أحياناً كثيرة لفهم العالم. والبحث الشرعي محاولةٌ لفهم الدين ذاته، وعلاقة المتعبدين بربهم، وانعكاس ذلك في إدارة شؤون الحياة. ولك أنْ تُدرج تحت هذا المفهوم البسيط الكثيرَ من التساؤلات والمسائل.

ومما يجب إدراكه هنا أنَّ البحثَ لا يمكن أنْ يولد من رحم الأحادية في التناول، والأحادية في الطرح، والأحادية في التلقي والقراءة، والأحادية في الفهم والاستيعاب، وأحادية الممارسة. وقس على ما ذكرتُ هنا ما شئتَ؛ لأنَّ الأحاديةَ إفراغٌ للبحث العلمي مِن معناه الحقيقي، وتدويرٌ له في دائرةٍ مفرغة، لا يبقى معها منه سوى الاسم. وهذا في حقيقته خداعٌ وممارسةٌ للكذب، وتسلط على ما هو حُرٌ بالفطرة، وبثٌ لروحِ الجُبن، وكُفرٌ بنِعَم الخالق وتكريمه للإنسان بالعقل والتمييز، وإشاعة لرذيلة التقليد التي هي رأس الجهل كله.

فحين نتحدث عن مئات الرسائل والأطروحات التي تناقش ذات الموضوعات، أو تسعى لتقريرِ ذات النتائج تحت أسماءٍ مختلفة، وحين نتحدث عن البقاء على نفس الرأي لعشرات السنين في المسائل الاجتهادية العقدية والشرعية وتحويلها -في المخيال الثقافي والعقل الجمعي- إلى مُسَلَّماتٍ لا تقبل النقاش، وحين نتحدث عن الانفصال بين التخصصات الشرعية في التلقي والتناول وممارسة البحث واختبار النتائج، أو الانفصال في الأبحاث بين التنظير والتفلسف والتطبيق، وحين نتحدث

عن غياب الاستفادة من التاريخ والوعي بحقيقة التجارب الإنسانية ومحاولة رصد علاقاتها مع الدين وأنماط التدين في مقابل اتساع مشكلات الواقع، وحين نتحدث عن أبحاثٍ لا تحمل مشكلاتٍ حقيقيةً واقعيةً تواجه الدين وتتعلق به، وحين نتحدث عن أبحاثٍ مرفقةٍ بطلبِ نشرٍ لا تتضمن شيئاً من معايير الكتابة العلمية الرصينة = فنحن حين ذلك كله نقف على هذا التشوه في التصورِ لماهيةِ البحث العلمي لدى الباحث الشرعي، ونعيش هذه الأزمة الكارثية بكل ما تحمله هذه الكلمة مِن معنى. وهذه الحقبة التي نعيشها -مع هذا الركام المسمى تجوزاً بالأكاديمي- أسوأ من حِقب الانحطاط العلمي في بعض أزمنة الحضارة الإسلامية. تلك الحِقَب التي كان التعصبُ سمتَها العامة، وكان المقلّدُ رائدَها، ومنتقدُ الاجتهاد قبطانَ سفينتها، وكان جُذيلها المحكك وعُذيقها المرجّب من يشتغل باختصار المطولات أو شرح المختصرات. ونحن إذ نقرر بأن ما نحن فيه اليوم أسوأ من تلك الفترة ذلك لأنَّ تلك الحِقَب كانت مُقِرةً بالتقليد، لكن المرحلة الحالية اليوم تدعي الاجتهاد في الوقت الذي لا تحسن معه حتى أدوات المقلدة.

ولهذا كله فنحن نوقن ونردد دائماً أنَّ سبيل الخلاص هو: **الوعي بماهية البحث العلمي، واستدامة الطرح المتجدد لهذه الحقيقة، والوقوف على محاولاتِ الباحثين لتحقيقها بطرقٍ ووسائل شتى، وإعمال النقد والمراجعة بدون حساسياتٍ زائفة أفَلَ بسببها عددٌ من العلوم والمعارف والأفكار، وتلاشى الإبداع والابتكار في قضايا العلوم الشرعية؛** حتى يرسخ البناء البحثي، وينعتق العقل من سياج الأحادية.

هذا وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد ﷺ.

رَئِيْسُ التحرِيْر

أ.د. خَالِدُ بْنُ مُحَمَّد القَرْنِيّ

عقيدة التجسُّد عند النصارى
"الاستمداد والتطوُّر"

إعداد

د. عبد الله بن علي بن عبد الله الشهري

الأستاذ المشارك في العقيدة والأديان والمذاهب المعاصرة

قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية

جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

ملخص البحث

يتناول هذا البحثُ دراسةَ عقيدةِ التجسُّد عند النصارى، بدءًا بشرح مصطلحات مهمَّة؛ كالاتّـحاد، والحلول، والتجسُّد، ويكشف البحثُ جذورَ تلك العقيدة وموطنَ ظهورِها، وكيف انتقلت عبر الزمن إلى أوروبا، وأُدخلت في دين النصرانيَّة، ودور بولس في بثِّ هذه العقيدةِ، ودور المجامع الكَنَسِيَّة في تثبيتها وترسيخها.

كما يتناول البحث ذِكرَ الأهداف والغايات التي لأجلها آمَنَ النَّصارى بعقيدة التجسُّدِ، ثم يبرز جوانب الانحراف في هذه العقيدة، ومدى مخالفتِها للوحي المنزَّل على الأنبياء، ومصادمتها للنَّظَر العقليِّ.

الكلمات المفتاحية: التجسُّد، الاتحاد، الحلول، النصارى.

❁❁❁

Abstract

This research studies the Christians' doctrine of incarnation, starting from explaining important terms, such as Union, Immanentism and Incarnation. The research also uncovers the roots of that doctrine, its birthplace and its emergence, in addition to stating how it passed to Europe over time, then how it was introduced into Christianity and the role of Paul (the Apostle) in spreading this doctrine, as well as the role of the ecclesiastical councils in establishing and consolidating it. Moreover, the research addresses the objectives and purposes for which the Christians believed in Incarnation. Then, aspects of deviations of this belief are highlighted showing the extent of its contradiction to the Revelation sent down to the Prophets and its clash with rational consideration.

Key words: Incarnation – Union – Immanentism – Christians.

مُقَدِّمَة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلام على سيِّد الأوَّلِين والآخِرين، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أمَّا بعدُ:

فإنَّ الله تعالى بعث أنبياءه -عليهم الصلاة والسلام- ليُبَلِّغوا دينَه، ويدعوا الناسَ إلى توحيده، سبحانه، ويردُّوهم إلى صفاء العقيدة بعدَ أنِ اجتالَتْهُم الشياطين(١).

ودعوةُ الأنبياء إلى التوحيد، هي منهجُ حياتِـهِم، وغايةُ مقصِدِهم، عليها عاشوا، ومِن أَجْلِها تحمَّلوا المكابرةَ والعِنادَ من أقوامهم، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[سبأ: ١٣].

وقد كانت دعوة عيسى عليه السلام جليَّةً واضحةً في مقصدها، وهو تعبيدُ الناسِ لربِّ العالمين. لكنَّ كثيرًا من أتباع هذه الدعوةِ، نالَهم مِن أثَر الدعوات الأرضيَّةِ شيءٌ ليس بالقليل، فانحرفت لأجل ذلك النَّصرانيَّةُ من التوحيد إلى الشرك، وداخلت عقائدَهم عقائدُ متعدِّدةٌ من الوثنيَّات السابقة، وصار أهلُ النَّصرانيَّة يرون هذا هو الدين الحق، والغايةَ التي جاء لأجلها عيسى عليه السلام.

ومن تلك العقائدِ، دعوى أنَّ الله حلَّ في عيسى -تعالى ربُّنا- وأنَّ اللَّاهوت قد اتَّـحد بالناسوت، وهو ما يُعرَف بالتجسُّد.

ولِبيانِ حقيقةِ هذه العقيدةِ، وكيف أثَّـرت في معتقد النصارى وشابته؟ ومن أين استمدوها؟ وكيف طوَّروها؟ والغاية من الإيمان بها؛ كتبتُ هذا البحثَ الموجَزَ، والذي عنونت له بـ: "عقيدة التجسُّد عند النصارى- الاستمداد والتطور".

أهميَّةُ البحثِ وأسبابُ اختيارِه:

١. أنَّ عقيدة التجسُّد، من أُسُس عقائدِ النَّصَارى التي ترتكز عليها معتقداتٌ أخرى

(١) في الحديث، عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال ذاتَ يومٍ في خطبته: (ألَا إنَّ ربي أَمَرَني أن أُعَلِّمَكم ما جَهِلْتم ممَّا علَّمَني يومي هذا؛ كلُّ مالٍ نَحَلْتُهُ عبدًا حلالٌ، وإني خلقتُ عبادي حُنَفَاءَ كلَّهم، وإنَّهم أَتَتْهم الشياطينُ فاجتالَتْهُم عن دينهم، وحَرَّمَتْ عليهم ما أَحْلَلْتُ لهم، وأَمَرَتْـهُم أن يُشرِكوا بي ما لم أُنزل به سُلطانًا). رواه مسلم في صحيحه (١٧/ ١٦٦)، ح (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

عندهم.

٢. تأثير الأديان الوثنيَّة في الدين النصراني، وأهمية إبراز ذلك بالشواهد.

٣. أنَّ في هذه العقيدة قدحًا في الرَّبِّ، سبحانه، وتَأْلِيهًا للإنسان، وانحرافًا عن هَدْي الوحي المعصوم.

٤. أنَّ نقدَ عقيدة التجسُّد، وبيانَ زَيْفِها يهدمُ عقائدَ أخرى مرتبطةً بها، ومبنيَّةً عليها؛ كتَأْلِيهِ المسيحِ، والفِداء، والبنوَّة.

مشكلة البحث:

تظهر مشكلة البحث من خلال الإجابة عن هذه الأسئلة:

١. ما جذور عقيدةِ التجسُّد قبلَ النصرانيَّة؟

٢. كيف انتقلت عقيدةُ التجسُّدِ إلى النصرانية، وغيَّرت نظرةَ النصارى لبشريَّةِ عيسى عليه السلام؟

٣. ما دورُ بولس في بَثِّ هذه العقيدة؟

٤. ما دور المجامع الكَنَسِيَّة في ترسيخ هذه العقيدة؟

٥. ما الغايةُ التي مِن أَجْلِها آمَن النصارى بهذه العقيدةِ وتشبَّثوا بها؟

أهداف البحث:

١. بيان جذور عقيدة التجسد عند النصارى.

٢. توضيح كيفية استمدادِ النصارى لهذه العقيدةِ، وتأثرهم بها.

٣. إبراز دور المجامع الكَنَسيَّة في تثبيت عقيدة التجسُّد.

٤. معرفة غايات النصارى وأهدافهم من الإيمان بعقيدة التجسُّد.

٥. نقدُ عقيدةِ التجسد، وبيانُ مخالَفَتِها للوحي الإلهي والنَّظَرِ العقلي.

الدراسات السابقة:

بحسَب اطِّلاعي على الكتب والرسائل التي تحدَّثت عن النصرانية وعقائدها، فمِمَّا وجدتُه حول موضوع بحثي، ما يلي:

١. **تقديس الأشخاص عند النصارى وآثاره**؛ للباحث: موسى بن عقيلي الشيخي، وهو

لنَيْل درجة الماجستير من جامعة أُمِّ القرى، في عام ١٤٢٩هـ.

وقد ناقش البحثُ مظاهرَ التقديس وأسبابه، وأمثلته عبر تاريخ النصرانية حتى وقتنا الحديث، ودرس بصورةٍ موجَزة مسألة التجسُّد، دون تفصيلٍ للجذور والتأثُّر بالفلسفات والآراء السابقة، وخصوصًا الوثنية في الهند، وحقيقة ما استقرَّ عليه المعتقَد عند طوائف النصارى.

٢. **مفهوم التجسد في الفكر الفلسفي والديني المسيحي وأصوله القديمة**؛ للباحثة: كريمة سعيد محمد، لنيل درجة الدكتواره في قسم الفلسفة من كلية الآداب، بجامعة الإسكندرية، في عام ٢٠١٦م.

وقد تحدَّث البحثُ عن مفهوم التجسد عند النصارى، مع مناقشةٍ فلسفيَّة مطوَّلة للنَّفْس والموت، والبعث والتناسخ، ورأي اليونانيين وفلاسفة الإسلام حول ذلك؛ فالبحثُ اتجاهُه فلسفيٌّ صرف، وأمَّا مناقشةُ عقيدةِ التجسد وجذورها وتطوُّرِها وإيمان طوائف النصارى بها ونقد العقيدة؛ فلم يكن ظاهرًا في هذه الرسالةِ بشكلٍ وافٍ.

٣. وَرَد الحديث عن التجسُّد في كثيرٍ من الرسائل التي ناقشت ديانةَ النصرانيَّة، ولكن مناقشة هذه العقيدة في تلك الرسائل، تظهر كدراسةٍ وصفيَّةٍ موجَزة.

منهج البحث:

سار هذا البحثُ على ضوء ثلاثة مناهج: منهجٍ استقرائي، ومنهج تحليلي، ومنهج نقدي.

خطة البحث:

تكوَّنت مادَّةُ هذا البحثِ من العناصر التالية: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمراجع.

المقدمة: وقد اشتملت على بيان أهميَّةِ البحثِ، وأسباب اختياره، وأهدافه، ومشكلته، والدراسات السابقة، والمنهج المتَّبَع فيه، وخطَّة البحث.

التمهيد: وفيه بيانٌ لمعاني المصطلحات التالية: التجسُّد، والحلول، والاتحاد.

المبحث الأول: جذور عقيدة التجسُّد. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عقيدة التجسُّد في أديان الهند.

المطلب الثاني: تأثر الديانة النصرانية بالوثنيات الهندية.

المبحث الثاني: عقيدة التجسُّد عند النصارى. وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: نشأة القول بالتجسُّد في النصرانية.

المطلب الثاني: دور المجامع الكَنَسيَّة في تثبيت عقيدة التجسد.

المطلب الثالث: رؤية طوائف النصارى الحديثة للتجسُّد.

المطلب الرابع: الغاية من اعتقاد التجسُّد.

المبحث الثالث: نقد عقيدة التجسُّد.

الخاتمة: وفيها أهمُّ نتائج البحث وتوصياته.

فهرس المصادر والمراجع.

تمهيد

في: معنى التجسُّد والحلول والاتحاد

مصطلحات التجسد والاتحاد والحلول بينها تشابُهٌ وتداخُل، ولا تخلو من الغموض، ومن المهمِّ بيانُ معانيها؛ حتى تُفهَم عند ورودها في سياقاتها المختلفة في الكتب والأبحاث.

أ- **التجسد:** يرجع إلى كلمة "الجسد"، والجسدُ هو البدن أو الجسم.

والتجسد: (مذهبٌ في عِلم الجمال، وفي مجالاتٍ أخرى، يُقِرُّ أنَّ كل الكائنات والظواهر الثقافية "الأشخاص، والأعمال الفنية، والأفعال" ولا شيءَ سواها، تعرض خصائص مركَّبة غيرَ قابلة للحل، تُعَدُّ في آنٍ واحدٍ ماديةً وقَصْدِيَّة)[1].

وعند النصارى، تعتبر عقيدةُ تجسُّد الإله، أو ما يمكن أن يُعبَّـر عنه باتحاد الطبيعتين، من أعلى العقائد وأهمها، وعليها تُبنى كثير من المعتقَدات الأخرى.

ومفهومُ التجسُّدِ عندهم[2]. أن يسوع المسيح هو كلمة الله، تجسَّدَ؛ أي: صار جسدًا، أو صار لحمًا أو بشرًا، وتأنَّس؛ أي: صار إنسانًا، من دون التخلِّي عن لاهوته، فشخص يسوع المسيح هو إذًا في آنٍ واحد إلهيٌّ وبشري، فيقال فيه: إنه إلهٌ تامٌّ وإنسانٌ تام. ويَعني التجسُّدُ أيضًا أنَّ الله الآب أرسل الابنَ، وأنَّه تجلَّى للناس، وهذا الابن الذي هو كلمة الله الآب الأزليَّةُ، نزل من السماء، ولكن دون ترك، وظهر في الناس في هيئة إنسان؛ أي في هيئة كائنٍ هو يسوع الناصري، له جميع الصفات الجوهريَّة التي تتكوَّن منها الإنسانيَّةُ، وذلك بدون الانفصال عن لاهوته، ولا عن الآب والروح القدس اللَّذَين يؤلِّف معهما الثالوث الإلهي[3].

---

(١) معجم أكسفورد ١/ ٥١٣.

(٢) يوسِّع بعض النصارى مفهوم التجسد، فيرون أنَّ له معانيَ ودلالاتٍ كثيرة، ومنها – كما يزعمون-: أنه يدل على سرِّ الله الذي صار إنسانًا؛ أي أنه عمل الله المتأنِّس (معنى معلوم)، أو على نتيجة هذا العمل (معنى مجهول)، وتدل أحيانًا بالمعنى الحصري على الساعة التي اتَّـخذ فيها كلمة الله جسدًا في أحشاء مريم العذراء، وعلى هذا العمل وحدَه، وتدل أيضًا على حياة المسيح وأعماله كلها. وفي هذا المعنى يشمل سِرُّ التجسد سرَّ الفدا. انظر: معجم الإيمان المسيحي، صبحي حموي اليسوعي، ص١٣٨.

(٣) الكلمة المتجسدة عند المسيحيين، الخوري بولس ١/ ٦٩.

ب- الحلول:

في اللغة: بمعنى النزول، من: حلَّ العذابُ يحلُّ حلولًا، وحَلَلْتُ البلدَ، والمحلُّ موضعُ الحلولِ، وهو النزول، والمحلَّةُ المكانُ الذي ينزل فيه القوم(١). ومنه قوله تعالى: ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾[طه: ٨١]، وقوله تعالى: ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾[الرعد: ٣١](٢).

أمَّا في **الاصطلاح**: فقد تعدَّدت التعريفات والأقوال في معنى الحلول، ومن ذلك: أنه (اختصاصُ شيءٍ بشيء، بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما عين الإشارة إلى الآخَر)(٣)، وقيل: هو (التجسيد أو التجسد)؛ حيث يذكر صاحب المعجم الفلسفي: أنَّ كثيرًا من المراجع تذكر أنَّ الحلول هو ترجمة لكلمة (Incarnation)، والذي هو بمعنى التجسُّد(٤).

ج- الاتحاد:

في اللغة: الاتحاد هو: الامتزاج والادِّراع والاندماج الكامل، يقال: اتَّحد الرجلان، وبينهما اتحاد، واتحدت الأشياء؛ أي: صارت شيئًا واحدًا(٥).

ويقال: (اتحدت الأشياء؛ أي: صارت شيئًا واحدًا. والوحدة في النظام السياسي: اتحاد دولتين أو أكثر في الرياسة، والجيش، والسياسة، والاقتصاد)(٦).

الاتحاد اصطلاحًا: يختلف مفهوم الاتحاد بحسَب الطوائف والفِرَق القائلة به؛ فالنصارى يرون أن الاتحاد هو أن تتَّحد الطبيعتان، الإلهيَّة والإنسانيَّة، واللاهوت والناسوت، فيُصبِحَا شيئًا واحدًا، وعلى هذا يكون الله والإنسان شيئًا واحدًا لا يمكن أن يُفصَلا، ويُعبَّر عن هذا بالاتحاد الخاص. أمَّا الاتحادُ العامُّ؛ فهو الذي قالت به بعضُ الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام -كالصوفيَّة الغالية- حيث زعموا أنَّ وجود الخالق هو عينُ وجودِ المخلوقات، وأن

(١) انظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادي ١/ ٢٠٣، مادة: (ح ل ل).

(٢) انظر: مختار الصحاح، للرازي، ص٧٩، مادة: (ح ل ل).

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي، ص٣٤٩؛ الكليات، للكفوي، ص٣٩٠.

(٤) انظر: المعجم الفلسفي، ليوسف كرم وآخرين، ص٦٨.

(٥) انظر: المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ص٦٦٢، مادة: (و ح د)؛ وانظر: التعريفات، للجرجاني، ص٩.

(٦) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ص٦٦٢.

الاتحاد (هو شهود الوجود الحق الواحد المطلَق، الذي الكل به موجود بالحق، فيتَّحد به الكلُّ من حيث كون كلِّ شيءٍ موجودًا به، معدومًا بنفسه)[1].

ويمكن أن نرى الفَرْقَ بين الحلول والاتحاد، بأنَّ الحلول يفيد وجود الامتزاج، إلَّا أن القائلين به يُثبِتون وجودَ شيئين، أمَّا مَن قال بالاتحاد؛ فيُثبت شيئًا واحدًا[2].

ومن خلال تلك المعاني السابقة، فالتجسُّدُ أقربُ ما يكون نتيجةً للاتحاد الخاص.

❁❁❁

(١) التعريفات، للجرجاني، ص٨، ٩.

(٢) انظر تفصيلًا متينًا لهذه المسائل في: مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٢/ ٣٧٢.

المبحث الأول

جذور عقيدة التجسُّد

المتتبِّع لعقيدة وفكرة التجسُّد والاتحاد، يجد أنها تعود إلى أزمنةٍ قديمة، وتظهر في أديان الهند بصورةٍ جليَّة وواضحة. ويربط الباحثون بين هذه العقائد وعقيدة وحدة الوجود(١)؛ حيث يرون أنَّ التجسد والاتحاد والحلول نتيجة للاعتقاد بوحدة الوجود. وترتب على القول بهذا الاعتقادِ، أنَّ الآلهة تظهر متجسِّدةً في صورةٍ إنسانيَّة لتقترب من البشر وتساعدهم، وأنَّ الموجود بحقٍّ هو الإله، وأمَّا مختلَفُ الكائنات؛ فليست إلَّا مظاهرَ منه مجسِّدةً له.

❁❁❁

المطلب الأول

عقيدة التجسد في أديان الهند(٢).

وُجدت فكرة التجسُّد في معتقَدات الديانة الهندوسيَّة(٣)، والتي يُطلَق عليها

(١) وحدة الوجود: هي عقيدةُ مَن يقول بوحدة الله مع العالَم، ويزعمون أنَّ كلَّ شيءٍ هو الله، وهو مذهبٌ قديم أَخذت به البراهمة، والرواقية، والأفلاطونية الحديثة، والصوفية؛ فالبرهمانيون "البراهمة" يردُّون كلَّ شيءٍ إلى الله، ويعتقد أن براهمان هو الحقيقة الكليَّة ونفس العالم، وأنَّ جميع الأشياء الأخرى ليست سوى أعراضٍ ومظاهرَ لهذه الحقيقة، والرواقيون يقولون: إن الله والعالم موجودٌ واحد، وإن العالم لا ينفصل عن الله، وفلاسفة الأفلاطونية الجديدة يقولون: إنَّ الإله واحد، وأن العالم يفيض عنه كفيضان النور عن الشمس، وأنَّ للموجودات مراتبَ مختلفةً، إلَّا أنها لا تؤلِّف مع الله إلَّا موجودًا واحدًا. والمتصوفون يقولون: إنَّ الله هو الحق، وليس هناك إلَّا موجودٌ واحد، وهو الموجود المطلَق، أمَّا العالَم فهو مَظهَرٌ من مظاهر الذَّاتِ الإلهيَّة، وليس له وجودٌ في ذاته؛ لأنَّه صادر عن الله بالتجلِّي. انظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا ٢/ ٥٦٩.

(٢) تعدَّدت الديانات في بلاد الهند، ويمكن أن نحصر أبرزها في الديانات التالية: الهندوسية، وهي أكبرُ الديانات؛ حيث تزيد عن ٨٠٪ من سكان الهند، ثم تأتي الديانات الأخرى: "الجينية، البوذية، السيخية، اليهودية، النصرانية، الإسلام، وهو من أقل الديانات، ويبلغ حوالي ١٢٪ من السكان، وهم ما بين سُنة وشيعة وقاديانية وصوفية وإسماعيلية، لكنَّهم يتفوقون على اليهودية والنصرانية من حيث عدد المنتسبين له. انظر: تاريخ الإسلام في الهند، عبد المنعم النمر، ص٤٦؛ أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، ص٢٧- ٢٩؛ قصة الديانات، سليمان مظهر، ص٩٧- ١٨٤.

(٣) الهندوسية، ويُطلَق عليها أيضًا البرهمية: ديانة وثنية، يعتنقها معظمُ أهلِ الهند، وهي مجموعة من العقائد والعادات والتقاليد، التي تشكَّلت عبرَ مسيرةٍ طويلة من القرن الخامسَ عشرَ قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر. وهي ديانةٌ تضمُّ القِيَم الرُّوحية والخُلقية إلى جانب المبادئ القانونية والتنظيمية، متخذةً عدَّةَ آلهةٍ بحسَب الأعمال المتعلِّقة بها. من أهم كتبهم

"أفتار"[1]، وتعني: تجسُّد الإله في جسد الإنسان أو الحيوان، أو أن تحلَّ فيه، والتجلي فيه لأجل هداية البَشَر وإصلاحهم؛ ولذلك تُظهِر الإله في صورة البشر، ولذلك يعتقد الهندوس أنَّ الإله "فشنوا Vishnu" أحد الأقانيم الثلاثة في الثالوث الهندي، كان يتَّخذ مختلفَ الأشكال والصُّوَر، فكان يظهر على الأرض كلَّما دعت الحاجة إلى إنقاذ البشرية من الهلاك[2]. وأن الإله كريشنا[3] يظهر إذا وجد انحرافًا في الممارسات الدينية؛ يقول كريشنا: (إذا تزلزل الحق أمام الباطل، وغلب الفُسَّاق على الصالحين، نزل "بهكوان" -أي الإله- إلى الأرض؛ لإحقاق الحق، وحفظ الصالحين)[4].

ويعتقد هؤلاء أنَّ تجسُّدَ الإله "أفتار"، حدث عبر مظاهرَ أربعةٍ، هي باختصار[5]:

المظهر الأول: تجسُّد "بورن أفتار"، ويقصدون به النزولَ الكاملَ للإله، وشرطُه أن تكون قوة الرسل غيرَ متناهيةٍ، تساوي قوَّةَ الإلهِ براهما، ويمثِّلون هذا النوعَ بتجسُّدِ الإله براهما في كلٍّ من راما[6] وكريشنا، ويُعلِّلون ذلك بأنَّ أصلَهما من الإله، نزلا بصورة البشر لإعدام وتدمير الطغاة.

=المقدسة: الويدا، ريج ويدا. وينتشر الهندوس في جميع الولايات الهندية؛ حيث يصل عددُهم إلى (٤، ٨٣٧) مليون نسمة بما يمثل ٣، ٨١٪ من مجموع الشعب الهندي، ويسيطر الهندوس على جميع مناحي الحياة السياسية والاقتصادية منذ استقلال الهند عن بريطانيا في ١٥ أغسطس ١٩٤٧م. انظر: أديان الهند الكبرى، ص٣٧-١٠١.

(١) أفتار "Avatar": كلمة سنسكريتية، وتعني: النزول؛ أي: نزول الإله إلى الأرض وتجسُّدَه في الإنسان، وذلك لأجل إصلاح حال الإنسان في صُوَر البشر، كما قال كرشينا: "من أجل إنقاذ الأبرار، وإفناء الأشرار، ومن أجل إعادة إقامة شرع الدين، أهبط بنفسي دورة بعد أخرى". انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د.محمد الأعظمي، ص٦١٥؛ البوذية وتاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها، عبد الله نومسوك، ص١٦٣.

(٢) انظر: الأديان القديمة في الشرق، رؤوف شلبي، ص١١٠.

(٣) كريشنا: بطل الملحمة الشعرية الشهيرة "الرامايانا"، والتي تبلغ حوالي ٢٤ ألف بيت، ولد كريشنا في مدينة مانورا الواقعة في دلهي عاصمة الهند، يعدُّه الهنود أحد مظاهر تجسد الإله فشنو. انظر: الفلسفة الهندية، علي زيعور، ص١٧٠.

(٤) المرجع السابق، ص٦١٥.

(٥) انظر تفصيل هذه العقيدة وتمظهراتها في: كتاب دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ص٦١٥- ٦١٩.

(٦) راما أحد آلهة الهندوس، وهو الابن الأكبر للملك دساراتا، وقد نفاه أبوه إلى غابة الشياطين أربعةَ عشرَ عامًا. تُنسَب إليه الملحمة الهندية المشهورة "الرامايان". انظر: أساطير من الشرق، سليمان مظهر، ص١٥٨، ١٥٩.

المظهر الثاني: تجسُّد "أنْشان أفتار"، ويُقصَد به التجسُّد من أجل غرضٍ خاص، وهو دون النوع الأول، ومدَّتُه قصيرةٌ لا تتعدَّى ساعات معدودة، وتمثَّل ذلك في تجسُّد الإله "فشنو" في شكل الإنسان الأسد.

المظهر الثالث: تجسُّد "كلا أفتار"، وهو دون النوع الثاني، وتمثَّل في خلق الإله براهما لمانو؛ لينسلَّ منه الجنس البشري.

المظهر الرابع: تجسُّد "أدْهيا كاري أفتار": ويُقصَد بهذا النوعِ، أنَّ الإنسان من أجل أداء مهمَّة محدَّدة، يعطى قوة كقوَّة الإله براهما، ثم تزول عنه تلك القوة بعد انتهاء مهمته.

هذه العقائد لم تتوقف عند هذه المفاهيم، وإنما مع مرور الأيام تتشكَّل من جديد، وتتَّخذ مظاهرَ أخرى، وهكذا واصلت الوثنية في بلاد الهند تنوُّعَها، وتبعها الناس، وتأثروا بما يعتقدونه من القوى المؤثرة، وانتقلوا في اعتقادهم من كونها قوى مؤثرة إلى تجسيدها في الواقع، ولم يقفوا في هذا عند حد.

ومنذ ذلك الحين احتّل فشنو المكانة الأولى لدى الهندوس وحلّ محل براهما، وأصبح كلا من راما وكريشنا إلهين عظيمين تجسد فيهما فشنو، ومن ثمّ كُتب لتلك العقيدة النصر والخلود والبقاء والاستمرار في أديان الهند الكبرى، وما تزال حتى يومنا هذا، مما اضطر الكهنة إلى الاعتراف بها[1].

كما أن عقيدة التجسد في الهندوسية مصرح بها في كتبهم المقدسة ككتابي "إسمرتي والبران"[2] والصواب أنه لا وجود لها وإنما هي مختلقة، وهي من صُنع الكهنة؛ حيث وضعوها للحفاظ على أوضاعهم السياسية والمادية، والتسلط على الشعب الهندي[3].

وبعد رسوخ عقيدة التجسُّد في الهند واكتسابها لشهرة واسعة، لم تتوقَّف حول حدود

(١) انظر: الهند القديمة- حضاراتها وديانتها، محمد إسماعيل الندوي، ص١١٢.

(٢) إسمرتي من كتب القوانين التي كتبها ويدا ينص على قِدم العالَم، وأمَّا البران؛ فيتحدث عن أساطير الأولين بالمثال والرواية القصصية، وفهم الويدا موقوف عليه، ورغم اختلافهم في صحة فصوله، يدَّعون أزليَّته. انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ص٥٤٦- ٥٤٨.

(٣) انظر: الفلسفة الهندية، أبو النصر أحمد الحسيني، ص١١٩؛ الفلسفات الهندية، على زيعور، ص١٠٤- ١٠٦.

الهند الجغرافية؛ بل تجاوزت هذه العقائد إلى بلاد أخرى، فبعد غزو اليونانيين للهند على يد الإسكندر(١)، كان نتيجة هذا الاتصال أنِ انتقلت عقيدةُ التجسد إلى اليونانيين، وأصبح للإله "فشنو" مكانةٌ وحضور في بلاد اليونان.

كما انتشرت عقيدة التجسد في إيران على يد "زرادشت"(٢)، كما انتقلت إلى أرض الرومان وتأثروا بها(٣).

ومن العقائد التي اعتنقها الهندوس وآمنوا بها، وجود الثالوث المقدس(٤)، وذلك بعد أن تعدَّدت الآلهة، حاول الكهنة ترميزَ عددٍ أقلَّ، وجمع الناس على الإيمان بأهمِّ الآلهة، وهم ثلاثة، وجعلهم في إلهٍ واحد، وهذه الآلهة الثلاثة هي: فشنو، براهما، سيفا(٥)، ويرون أنَّ براهما هو الخالق الذي ترجو رحمتَه وكرمَه وعطفَه جميعُ الأحياء، وينسبون إليه الشمس التي يكون فيها

(١) هو الملك أفليقوس بن الإسكندر المقدوني اليوناني، تأدب بأرسطو طاليس، وكان معلمه، وقد ذكر بعض الباحثين أن هذا الإسكندر هو ذو القرنين، وهذا بعيد، والله أعلم. انظر ترجمته والخلاف في كونه "ذو القرنين": كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب، لابن العديم ٤/ ١٥٩٣.

(٢) زرادشت: شخصية تاريخية شهيرة، مسقط رأسه إيران، ينتمي إلى طائفة ميدية يطلق عليها (مغ) أو المجوس، كان يعيش في أواسط القرن السابع قبل الميلاد -على وجه التقريب- أي إبَّان حُكمِ الميديين وقبل ظهور الهخامنشيين وازدياد نفوذهم. وقد توفي في حدود عام ٥٨٣ ق.م، وهو في السابعة والسبعين من عمره. انظر: المرجعيات الفكرية والفلسفية للديانة الزرادشتية (وتأثرها بالديانات السماوية اليهودية والمسيحية)، ص٨٣-٨٤؛ الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، علي عبد الواحد، ص١٢٧.

(٣) تأثر البلدان والشعوب بهذه العقيدة، أوسعُ مما يُذكر أحيانًا في بعض الأبحاث؛ فالمتتبِّع للرصد التاريخي والمذهبي، يرى أن هذه العقيدةَ لم تدخل في الديانات الأخرى فقط، بل تأثرت بها بعضُ الطوائف التي تنتسب للإسلام؛ كالقرامطة، والإسماعيلية، والبابية، والبهائية. انظر: الهند القديمة- حضاراتها وديانتها، ص١١٢، ١١٣.

(٤) ليس الهنود أول مَن قال بالتثليث أو الثالوث؛ فقد سبقتهم بعضُ الأمم، ويرجح بعض الباحثين أنَّ البابليِّين هم أولُ مَن قال بالثالوث، وكان ذلك في الألف الرابع قبل الميلاد؛ فقد نظموا آلهتهم أثلاثًا في مجموعات متميزة المكانة والقدر. وقد قال قدماء المصريين بالثالوث أبيدوس (أوزوريس، أوزيس، وحورس)ـ وثالوث طيبة (آنوا، وأنليل، وأيا)، وللسومريين (آبو، وزوجته، وابنه). انظر: التأليه في الفكر الهندي، عبد الراضي عبد المحسن، ص٤٣ -٤٤؛ والمسيحية، أحمد شلبي، ص١٣١.

(٥) انظر: أديان الهند الكبرى، ص٤٦.

الدفء وانتعاش الأجسام، وتجري بسببها الحياة في النباتات والحيوانات، ويعتقدون أنه خالقُ الكونِ على طريقته.

بينما الإله فشنو بمثابة الرسول، وكثيرًا ما يصورونه على هيئة إنسان جاء ليقدم الخيرَ والعون للبشر، وتُنسب إليه كلُّ صُوَر الخير والجمال والحب والعطاء، ويساعده آلهةٌ آخَرون؛ مثل: راما وكريشنا، وكلُّ شكلٍ من أشكال فشنو، هو في الحقيقة تجلٍّ للإله براهما.

أمَّا سيفا؛ فهو المُهلِك للعالَم، ومهمَّتُه نقيضُ مهمةِ فشنو، وتُنسب إليه كلُّ الأعمال البشعة؛ كالفناء، والدمار، والشر، والحروب، والجفاف(١).

ويرى الهندوس أنَّ الإله فشنو تجسَّد في عدد من الأشكال، ومنها: تجسُّدُه في شكل بوذا؛ حيث نزل لهداية الناس، واعتقدوا أنه سيكون موجودًا دائمًا في هذا الكون؛ إمَّا على الأرض، أو في السماء، فصار بوذا بتجسُّد الإله فشنو فيه، الموجودَ الأزليَّ الدائمَ محورَ العالَم كلِّه، يتخذ عدَّة أشكال هو الآخر كلَّما اقتضت الضرورة ذلك؛ لهداية البَشَر، والرِّفق بهم، ومساعدتهم في مِـحَنِهم وآلامِهم، وسبغت عليه صفات ربِّ العالمين(٢)؛ يقول بوذا: (أنا لست بوذا الأول الذي يجيء إلى هذا العالم، ولا أنا الآخر، وأعلم أن في المستقبل سيظهر بوذا آخَر في هذا العالم)(٣).

ومن صور تجسُّد الإله فشنو، تجسُّدُه في صورة سمكة لإنقاذ البشرية، والحيوانات، والنباتات من الهلاك، وتجسَّد في شكل الخنزير البَرِّي لمهاجمة الشياطين، وتجسَّد في شكل السلحفاة التي ركبت على ظهر الإله، وأعادت طعامهم الذي فُقد في الطوفان(٤).

ثم استقرَّ الناس على الاعتقاد في التجسد الثلاثي (راما، وكريشنا، وبوذا)، وهم الذين

---

(١) انظر: موسوعة الأديان " التوحيد، الخلق، القيم"، مهدي حسين البصري، ص ٣٩- ٤٠.

(٢) انظر: الهند القديمة- حضاراتها ودياناتها، ص١٥٣.

(٣) البوذية- تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها، ص٣٥٢.

(٤) تجسُّدات الإله فشنو كثيرة كما يعتقد الهندوس، ومنها في أشكال: الأسد والقزم وراما صاحب الفأس، وراما ملك أيوذيا، وفي شكل كريشنا. انظر: الهند القديمة حضاراتها ودياناتها، ص١٣١، أساطير من الشرق، ص١٥٩، الفلسفات الهندية، ص١٦٩.

بقي لهم أتباع يعبدونهم، ويُقيمون لهم الطقوسَ والشعائر، ثم إنَّ هذا الثالوث يكوِّن الإله الواحد، وهو الإله فشنو(١).

كما يعتقد بعض الهندوس أنَّ البشر يمكن أن يهذِّبوا أنفسَهم ويزكوها؛ ليرتقوا إلى مرتبة أعلى، بحيث يحلُّ الإلهُ في الشخص إذا تهيَّأ لذلك، وهذا يَعني أن التجسُّدَ بمقدور أيِّ إنسان؛ يقول بوذا: (إن الشخص يقدر على رفع مصيره حتى مستوى الآلهة، أو يخفضه حتى الدَّرْك الأسفل، من يرتفع يقدر على الهبوط، ومن يهبط يستطيع الصعود، الحق أقول لكم: إنني في حياتي قد دخلت نرفانا، وتخلَّصتُ من الذات بحلول الحق فيَّ، إنَّ هذا الجسد الذي ترونه سيَفنى في وقتٍ ما، أمَّا الحقُّ فلن يفنى؛ إنه يبقى وسيحلُّ في كلٍّ بوذا)(٢). ويقول شنكرا جاريا(٣): (الإنسان لا يصل إلى براهما إلَّا إذا تحقَّقت لديه المعرفة الكاملة، وتخلص من جميع علائق المادة، وعندها يصل إلى مرحلة الغيبوبة الكاملة، أو التَّفَاني في الإله)(٤).

وأمَّا الغايةُ والمقصد من التجسُّد في صورة البشر، كما هي عقيدة " الأفتار" الذي يؤمن بها الهندوس، فهي تحقيق ما يلي:

أولًا: إظهار النُّسَّاك والرُّهبان على الفُجَّار.

ثانيًا: الفوز في الدنيا بعد إهلاك الدَّجَّالين.

ثالثًا: رفع ثقل الأرض من المعاصي.

رابعًا: تقديم أسوةٍ حسنةٍ للسائرين(٥).

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام في الهند، ص٤٥، الهند القديمة- حضاراتها وديانتها، ص١١٢.

(٢) البوذية- تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها، ص٤٧٧، ٤٧٨.

(٣) من أعظم فلاسفة الهند، وهو شاعر وباحث في العلوم، كما أنه قديس ومصلح ديني، ولد في مدينة كالدي في الهند سنة ٧٨٨م، له موسوعة البهاشيا وهي شروح متعددة قرابة ١٥ جزءا، كما له موسوعة براكهرنا وهي كتب مستقلة. انظر: بحث شنكر آجاريا وجهوده في نشر الفلسفة "الالثنائية" (أودويتا) ص ١-٢٣ – مجلة ثقافة الهند، مجلد ٦٦ العدد ٣، ٢٠١٥ م.

(٤) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ص٥٥٩.

(٥) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ص٦١٥.

المطلب الثاني

تأثر الديانة النصرانية بالوثنيات الهندية

مما سبق يتَّضح لنا، أنَّ العقائد الوثنية الشِّركيَّة - كالتثليث، والتجسُّد، وتأليه البشر- كانت موجودةً عند الهندوس، وهم أسبقُ زمنًا من الديانة النصرانية.

وهذه العقائد تسرَّبت إلى دين النصرانية ومازجته، بل صارت هي لُبَّه وأساسه(١)، وهذا باعتراف بعضِ مؤرِّخي الأديان والباحثين من النصارى؛ حيث أكَّدوا أنهم لا يستطيعون إلَّا الاعترافَ بالأصل الوثني لعبارة "ابن الله"، وأنَّ هذه العبارة كان لها تأثيرٌ كبير على استقطاب الكثير من الوثنيين في الديانة المسيحية؛ بل دخل بعضُهم في الدين الجديد بسببها(٢).

ويُشير بعضُ الباحثين إلى أنَّ بولس الذي بذر بذرة التثليث في النصرانية، إنما أخذ هذه العقيدةَ من الوثنيات السابقة، وأنه -تحديدًا- أخذ هذه الأفكارَ الوثنية من مدينة طرسوس، والتي كانت مدرسةً كبرى للأدب الإغريقي، والتي نشأ فيها بولس وتربَّـى على فلسفتها الوثنية(٣). كما يذكر آخرون أن بولس اقتبس دينه من ديانة الهنود الوثنيين، وأخذ لاهوته من لاهوت البرهميين، وأن لاهوت القوم قائم على عمل التثليث دون سواه(٤)، وأنَّ الوثنية المثلثة

---

(١) المتتبِّع لعقائد النصارى التي شابَهَت العقائد الوثنية، يجدها كثيرة، وقد عقد صاحب كتاب "العقائد الوثنية في الديانة النصرانية" ثمانيةَ عشرَ فصلًا، كلُّها تُظْهِر قوةَ التشابه وشدة الارتباط، ومنها: "عقيدة التثليث عند الوثنيين وعند النصارى، تقديم أحد الآلهة فداء عن الخطيئة، وتقديم المسيح الظلمة التي حدثت عند موت أحد المخلصين للعلم عند الوثنين، وما حدث للعالم عند موت المسيح، والنجوم التي ظهرت عند ولادة أحد الآلهة عند الوثنيين، والنجم الذي ظهر في المشرق عند ولادة المسيح... وغير ذلك من العقائد المتشابهة، كما قارن بين أقوال الوثنيين في بوذا وأقوال النصارى في المسيح، وأقوال الوثنيين في كريشنا وأقوال النصارى في المسيح (وضعها في جداول للمقارنة)، وأظهرت المقارنة درجة التشابه الكبيرة، والتي تقارب التطابق. انظر: ص١٤٧- ١٦٥.

(٢) انظر: الأصول الوثنية للمسيحية، ص٤٠.

(٣) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص١٧٣، وانظر: المسيحية، أحمد شلبي، ص١٥١،

(٤) انظر: المسيح والتثليث، محمد وصفي، ص١٣٦، ويجزم العالم البريطاني مايكل غولدر: بأن بولس اقتبس فكرة تجسُّد عيسى خلال نقاشاته مع الدعاة المبشرين السامريين في مدينتي (كورنثوس، وأفسس) في الفترة بين ٥٠ و٥٥ ميلادية، وأن هذا كان أحد أهم التأثيرات الأساسية على فكرة التجسد في المسيحية. انظر: المسيحية وأساطير التجسُّد، دانييل باسوك، ص٣٧- ٣٨.

من أهم ما دخل إلى المسيحية عن طريق التسامح –التلاقح– الديني مع الوثنيين[1].

ويقرِّر ويل ديورانت هذا التأثر النصراني بالوثنيات، وأن المسيحية لم تنقضَّ على الوثنية، بل تبنَّتْها، وأنَّ المسيحية كانت آخِرَ شيءٍ عظيمٍ ابتدعه العالم الوثني القديم[2].

وتشير كتب التاريخ إلى أنَّ التلاقح الثقافي والديني والحضاري بين بلاد الهند والنصارى، كان موجودًا ومتواصلًا؛ بل بدأ قبل ميلاد المسيح عليه السلام إثرَ تلك الغزوات التي قام بها عددٌ من الملوك والقادة، كالملك الإسكندر، وحدث تفاعلٌ حضاري بين ثلاث حضارات "اليونانية، والإيرانية، والهندية"، ولم تقتصر فائدةُ هذا الغزوِ الذي قام به الإسكندر على حدوث هذا التفاعل الحضاري والثقافي بين هذه الحضارات فقط؛ بل حدث أيضًا لقاءٌ مباشر واتصال فعَّال بين أقدم الحضارات الإنسانية في الشرق، وهي حضارة المصريين القدماء "مصر"، خاصةً بالإسكندرية[3][4]، وأنَّ الملك الإسكندر في غزوه لبلاد الهند، قام بمرافقته عددٌ كبير من العلماء والفلاسفة والمؤرخين اليونانيين، حتى أعرب أحدُهم عن رغبته في مناقشة أحد الفلاسفة الهنود في النظرية الهندية المتصلة بموضوع ما وراء الطبيعة[5]. وأشار مؤلف كتاب "الهند القديمة– حضاراتها وديانتها" إلى أنَّ الذي رغب في تلك المناقشة هو أرسطوطاليس أستاذ الإسكندر، وأن الإسكندر اصطحب عند مغادرته لبلاد الهند عددًا كبيرًا من فلاسفة الهنود. وشوهد في الإسكندرية عدد من رهبان الديانة الجينية وكُهَّانها، ورأس

(١) انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، أحمد علي، ص٥١٧.

(٢) انظر: قصة الحضارة، ويل ديورانت ٣/ ٢٧٥– ٢٧٦.

(٣) كانت الإسكندرية في القرنين الثاني والثالث الميلاديين مركزًا للحضارة الرومانية التي بلغت من التقدم أَوجَهُ؛ حتى صارت المركز الأول في العالم من الناحية التجارية، الأمر الذي دعا الكثير من تجار الهند وسفرائها إلى التوافد عليها من المناطق المختلفة، وكان من بينهم كثير من البوذيين والجينيين وهم في طريقهم إلى الروم، حتى ذهب أحد المؤرخين (راو ليسون) إلى الاعتقاد بأن الإسكندرية كانت على علم تام ومعرفة كاملة بأديان الهند وفرقها ونِـحَلِها، وأن النصارى في الإسكندرية قد اتخذوا منها معظم حضارتها وملامحها البارزة رمزًا للتقديس والمهابة، وبالَغوا في الرياضات البدنية والرهبانية والعزلة. انظر: الهند القديمة– حضاراتها وديانتها، ص٢١٨– ٢٢٢.

(٤) انظر: الهند القديمة– حضاراتها وديانتها، ص١٦٧.

(٥) انظر: الهند القديمة– حضاراتها وديانتها، ص١٦٧.

الوفد الهندي في مدينة الإسكندرية راهب جيني يدعى زارما[1]. وقد عمل هذا الراهب على توثيق الروابط بين البلدين، وتوفير الوسائل للرعايا الهنود، وإعفائهم من جميع الرسوم والضرائب[2].

أمَّا بعد الميلاد؛ فيشير بعض المؤرخين إلى أن فكرة الثالوث الهندي انتقلت إلى الديانة النصرانية عبر وسيط، وهو الفلسفة الأفلاطونية، وأن اللاهوت المسيحي مقتبَس من نفس المَعين الذي كانت فيه الأفلاطونية الحديثة، وقد أخذ أفلاطون فلسفتَه في التثليث من الهند، فكلاهما فيه متشابهات بالهند وإن افترقا في التفاصيل أحيانًا، لكنهما يركزان على عقيدة الثالوث[3].

ومن الأمور التي يلاحظ فيها الاشتراك والتشابه، "قانون الإيمان"[4] الشهير، والذي أُقرَّ في مجمع نيقية، حيث وُجد شبيهٌ بهذا القانون في الكتب الهندية القديمة، كما نقل ذلك الشيخ أبو زهرة؛ حيث قال: (ذُكر في الكتب الهندية القديمة التي تُرجمت إلى اللغة الإنجليزية شارحةً عقيدةَ الهنود القدماء: نؤمن بسافستري –أي: الشمس- إله واحد، ضابط الكل، وخالق السماوات والأرض، وبابنه الوحيد "آتي" –أي: النار- نور من نور مولودٍ غيرِ مخلوق، تجسَّد من "فايو" –أي: الريح- في بطن مايا العذراء، ونؤمن بفايو الروح الحي، المنبثق من الآب والابن الذي هو مع الآب والابن يسجد له ويمجد)[5].

وتُثبت الدراسات التاريخيَّة تأثُّرَ اليونان بعقيدة التجسد في أديان الهند، وحدث تأثرهم

(١) الراهب زارما نوكيفاس: راهب جيني، رَأَسَ الوفد الهندي في بلاط الملك إغنطيوس. انظر: الهند القديمة- حضاراتها وديانتها، ص٢٠٥.

(٢) الهند القديمة- حضاراتها وديانتها، ص٢٠٥.

(٣) انظر: مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية، ليون جوتيه، ص٧٠.

(٤) قانون الإيمان: أُقرَّ في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، وسُمي بقانون الإيمان النيقاوي. انظر: مجموعة الشرع الكَنَسي (قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة). حنايا إلياس كساب، ص٤٠- ١٠٨، تاريخ الفكر المسيحي، حنا جرجس الخضري ١/ ٦٢٦-٦٤١، مصادر النصرانية، عبد الرزاق الأرو ٢/ ٧٣٣- ٧٤٧.

(٥) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام- دحض شبهات ورد مفتريات، محمد أبو زهرة، ص١٠٠- ١٠١.

حينما اتصلوا بالهند عقب غزوات الإسكندر على الهند، وتوطَّدت العلاقات بين الهند واليونان في شتى المجالات، وأخذ اليونان حينها فكرةَ التجسُّد السائدةِ في الهند آنذاك، وأَدخَلوها في عقيدتهم، فانتقل بذلك الإله فشنوا عندهم؛ لينال التقدير والإعجاب، وصار عندهم آلهة معظَّمة كرموز للتجسد(١).

ومن اليونان انتقلت العقائد والطقوس إلى الرومان؛ حيث غزت بلاد اليونان روما عن طريق بَعْثِها بالدين اليوناني إلى عامَّتِها، وإلى الطبقات العليا من أبنائها بالأخلاق والفلسفة اليونانية(٢). وبهذا حدث التلاقح بينهما، وتأثر الرومان تأثرًا بالغًا بالطقوس اليونانية، وقد أَبْدَى الرومان رغبةً في اقتباس الآراء اليونانية الدخيلة، دونَ المساسِ بآرائهم وعقائدهم القديمة، كما شغفوا بالأساطير والقصص اليونانية فأعادوا نَشْرَها في صورة نماذج جديدة؛ لتكون جزءًا من التراث الروماني(٣).

وبسبب هذا التأثرِ الروماني بما حمله اليونان من عقائد أديان الهند؛ فقد عرضوا المسيح في صورة الإله المتجسد، أو بوذا الثاني بعد إيمانهم بالمسيحية(٤).

والعقائد الهندية الوثنية، هي التي هيَّأت اليونان لتلقِّي أفكار وعقائد بولس، وقد انتقلت إليها بالفعل، وتأثَّر الناسُ بها(٥). يقول مؤلف كتاب المسيح والتثليث: (لم يأتِ بولس بجديدٍ ليبنيَ عليه مبادئه، ولم يتعب في الحصول على مادَّة يُغذِّي بها أغراضَه ومطامعَه؛ فلقد رأى في الديانات الوثنية الهندية ما يَعِدُّ به العدَّةَ لمحاربة دين النصارى)(٦).

مما سبق يتبيَّن لنا ذلك التشابه الكبير بين عقائد النصارى وعقائد أديان الهند، ومدى قوة التشابه بين ما يوصَف به كريشنا وبوذا وما يوصف به المسيح؛ حتى إنَّ أتباع بعض المذاهب

(١) انظر: الهند القديمة- حضاراتها ودياناتها، ص١١٢.

(٢) انظر: قصة الحضارة ٣/ ١٩٩.

(٣) انظر: أديان العالم الكبرى، ص٥٧.

(٤) انظر: الهند القديمة- حضاراتها ودياناتها، ص١٧٥.

(٥) انظر: قصة الحضارة ٣/ ٢٤٩- ٢٥٠.

(٦) المسيح والتثليث، ص١٣٥.

البوذية الحديثة، يرون أنَّ بوذا ليس إنسانًا محضًا؛ بل إنَّ روح الإله المنقِذ الحقيقية، قد حلَّت فيه، وهذه هي نفس عقيدة الحلول التي يعتنقها النصارى في المسيح، فيقولون: إنَّه شخصيَّة ثنائيَّة، لاهوتيَّة وناسوتيَّة، وأنَّ الشخصيَّة اللاهوتية حلَّت بالشخصيَّة الناسوتيَّة(١).

❁❁❁

(١) انظر: بوذا الأكبر، حامد عبد القادر، ص١٢٠.

المبحث الثاني

عقيدة التجسُّد عند النصارى

المطلب الأول: نشأة القول بالتجسُّد في النصرانيَّة

جاء عيسى عليه السلام بشريعة الله على التوحيد، وإخلاص العبادة له، وعلى هذا سار تلامذتُه، ولم تكن مقالةُ الشِّرك حينئذٍ قد داخلت عقائدَ النَّصارى وتلبَّست بها.

ولم تكن لفظة "التجسد" معروفةً عند الحواريِّين والتلاميذ والمؤمنين برسالته، كما لم يَرِدْ لها قبلَ ذلك ذِكرٌ في العهد القديم، وإنما ظهرت لاحقًا(١)، وداخلت النصرانية كما داخلتها بقيَّةُ العقائدِ المنحرفة.

والدَّارس لمقالات الفِرَق النصرانيَّة القديمة، يجد أنها لم تَقُلْ بالاتحاد والتجسُّد، ولم تعتقد التثليث، مع أنها لم تلتزم التوحيدَ الخالص؛ فقد شابت مقالاتها بعضُ الأخطاء والمقولات المنكَرة، لكنَّها لا تصل إلى القول بألوهيَّة المسيح، وأنَّ جسد الله فيه!

ومن تلك الفِرَق فرقةُ الإبيونيين(٢)، وفرقة المونار كيانيين(٣)، وفرقة الآريوسيين(٤) هم أتباع

(١) يشير بعض المؤلِّفين في النصرانية إلى أنَّ أول من استعمل كلمة التجسُّد هو إيريناوس الليوني، والذي كان أسقفًا في فرنسا، وكانت وفاته سنة ٢٠٢م. انظر: التجسد، للأب فرنسيس فرييه، ص٢٣، والصواب أن اللفظة استُعمِلَت قبلَه، وجاء التصريح بها في إنجيل يوحنا كما سيأتي في ثنايا هذا المبحث.

(٢) تعود أصول هذه الفرقة إلى اليهود، وعُرف عنهم التمسكُ بالتوراة، واعتنقوا المسيحية، وأنكروا التثليث وألوهية المسيح. انظر: الفِرَق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم، سعد رستم، ص٢٢.

(٣) وهم أتباع بولس الشمشاطي، أسقف وبطريرك أنطاكية، كان يُنكر ألوهيَّةَ المسيح، ويرى أن بنوَّته اللهَ بنوَّةٌ مجازيَّة لا تفيد أكثرَ من القُرب من االله تعالى والحظوة عنده. انظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم، ص٢٣، ومعجم الإيمان المسيحي، ص١٩.

(٤) أتباع آريوس، الذين كانوا يقتربون من التوحيد، وقد أنكروا ألوهيَّةَ المسيح، وبالتالي عقيدة الثالوث. انظر: معجم الإيمان المسيحي، ص٣٢.

دعوة آريوس(١)، وقد خالَفوا الفرق النصرانية الأخرى في كثيرٍ من معتقداتهم، وكانوا قريبين من الحق، ويَغْلط مَن يَصِفُهم بأنهم على التوحيد الخالص(٢).

وقد أورد ابنُ تيميَّة كلامَ الحسنِ بن أيوب، وفيه أنَّ الآريوسية يعترفون بعبودية المسيح ولا يؤمنون بألوهيَّتِه ولا ببنوَّتِه، وأنهم مُقِرُّونَ بما جاء به تلاميذه والحاملون عنه، وأن هذه الطبقة قريبة من الحق، مخالفةٌ لبعضه في جَحْدِ نبوَّةِ محمدٍ ﷺ(٣). ومن ذلك ما قاله ابنُ حزم: (والنصارى فِرَقٌ، منهم أصحاب أريوس، وكان قسيسًا بالإسكندرية، ومن قوله التوحيد المجرد، وأن عيسى عليه السلام عبدٌ مخلوق، وأنه كلمة الله تعالى التي بها خلق السماوات والأرض)(٤).

ثم جاءت فرقة المظهرية (الدوسيت)، الذين يرون أنَّ الإله لم يتَّخِذ جسدًا حقيقيًّا؛ بل اتخذ مظهرًا جسديًّا أو شِبهَ جسديٍّ؛ ولذلك هم يعتقدون أن المسيح هو إلهٌ يمشي على الأرض مستترًا في شِبه جسدٍ بشري(٥).

ثم استقرَّ القول بعد ذلك على القول بألوهيَّة المسيح، وأنه الابن الذي اتّحد بأبيه، وهو ما يسمَّى بالاتحاد أو التجسد.

---

(١) آريوس، تصفه المصادر المسيحية بأنَّه كان مثقفًا عالـمًا بالتفسير، يُنكِر ألوهيَّة المسيح بناءً على أزليَّة الله تعالى، في حين أنَّ المسيح مخلوق؛ فعلاقةُ الله تعالى بالمسيح علاقةُ خالقٍ بمخلوق، حُكم عليه بالبدعة والهرطقة والحرمان في مجمع نيقية سنه ٣٢٥م. انظر: الموسوعة العربية العالمية ١/ ٥٤٨، معجم الإيمان المسيحي، ص٣٢، تاريخ الفكر المسيحي ١/ ٦١٧.

(٢) لم يثبت أن آريوس قال عن عيسى عليه السلام أنه بشر رسول، وهو رأي كثير من النقاد الغربيين، بل في بعض في كلماته المنقولة ما يُبين بقاءَ بعض الأخطاء العقَدية التي تتنافى مع صفاء التوحيد، ومن ذلك ما نقله ابن تيمية في الجواب الصحيح: (قال أريوس: أقول: إنَّ الأب كان إذ لم يكن الابن، ثم الله أَحدَثَ الابنَ، فكان كلمةً له، إلَّا أنه مُحدَث مخلوق، ثم فوَّض الأمر إلى ذلك الابن المسمَّى كلمةً، فكان هو خالق السماوات والأرض وما بينهما كما قال في إنجيله، إذ يقول: (وهَبْ لي سلطانًا على السماء والأرض)، فكان هو الخالق لهما بما أُعطي من ذلك). انظر: الجواب الصحيح ٤/ ٢١٩. وقد ناقش هذا الأمرَ باستفاضة، الباحث في مقارنة الأديان د٠ سامي عامري في هذا المقطع (آريوس كان موحِّدًا. خطأ (https://www.youtube.com/watch?v=66wcrGQpz7U

(٣) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤/ ٩١.

(٤) الفصل في الملل والنِّحَل، لابن حزم ١/ ٤٧.

(٥) انظر: اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ١/ ١٦١، علم اللاهوت النظامي، ص٤٥١.

وكلُّ الدراسات التاريخيَّة الموثقة، تشير إلى أنَّ بولس هو أوَّلُ مَن عبث في العقائد النصرانية، وأنه هو من أَدخَلَ عقيدةَ التجسُّد إليها(١).

وقد ورد في رسائل بولس ما فَهِم منه النصارى أنه تقريرٌ لعقيدة التجسد، ومن ذلك:

- (عظيم سر التقوى، الله ظهر في الجسد، تبرر الروح، تراءى للملائكة، كرز به بين الأمم، أُومِنَ به في العالم، رفع به المجد)(٢). وتفسير هذا النص: (الذي ظهر في الجسد هو الله الحقيقي، وقد ظهر ظهورًا حقيقيًّا، وهذا ما جعل الأمر سرًّا؛ فالتقوى سِرٌّ بكل أجزائها وتفرعاتها، وكونها سرًّا عظيمًا؛ لذا ينبغي أن نقبله بخضوع، ولا نتفرس فيه باستغرابٍ شديد)(٣).
- (الذي كان في صورة الله، لم يحسب خلسةً أن يكون معادلًا لله، لكنَّه أَخلَى نفسَه، أخذ صورة عبدٍ صائرًا في شبه الناس)(٤)، يُعلِّق الخوري بولس على هذا النص بقوله: (يركز الشُّرَّاح على تجرد المسيح وإمحائه كأساس لشرح لاهوتي للتجسد. تخلَّى المسيح عن صورة الله وأخذ صورةَ العبدِ - أي: صورة البشر- فوصل إلى المجد عن طريق الاتِّضاع. في هذا النشيد نرى الله والمسيح، ونرى كيف أن المسيح صار ربَّ الخليقةِ)(٥).

والتصوُّر الأول للمسيح -كما يرى بولس- يظهر في ثلاثة أشياء، هي:

أولًا: كان عيسى إنسانًا سماويًّا سبقته عناصره الرُّوحية في الوجود؛ فوجودُه الـجِسمي كان في السماء، ومبدأ حياته من الرُّوح الإلهيَّة نفسِها، وليس هو الرُّوح.

ثانيًا: جاء عيسى إلى الأرض ليُنشئ إنسانيَّةً جديدة يُـحرِّرُها مِن أثقال الخطايا، بقَبوله أن يعيش عِيشةَ الإنسانِ المحقَّر، وأن يموت مِيتةَ الآثِمِ المشينة.

ثالثًا: شخصيَّتُه هي المكان الميتافيزيقي، الذي يجتمع فيه الإله والخليقة؛ فهو صورةُ الإلهِ

(١) المسيحية- نشأتها وتطورها، شارل جنيبير، ص١٠١. وانظر: تحريف رسالة المسيح، بسمة جستنية، ص١٦٦.

(٢) رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ٣/ ١٦.

(٣) التفسير الكامل للكتاب المقدس، متى هنري ٣/ ١٦.

(٤) الرسالة إلى أهل فيلبي ٢/ ٦-٧.

(٥) المدخل إلى الكتاب المقدس ٢/ ٤٨٠.

الخفيَّة، وهو أوَّلُ الخلق[1].

ويعتبر شارل جنيبير أنَّ تلك الأفكار والرُّؤى من بولس، كانت لتقرير أنَّ عيسى ليس إنسانًا فقط؛ بل تهدف تلك الرؤى إلى نتيجةٍ واحدة، هي الخروج بالمسيح عن نطاق البشريَّة ليقتربَ من الإله[2].

وتعتبر هذه مقدِّمةً لطرح فكرة الاتحاد بين الطبيعتين؛ الإلهية والبشرية، وأنَّ اللَّاهوت قد حلَّ في الناسوت؛ أي في جسد المسيح.

وبعد تقرير بولس لعقيدة اتحاد الطبيعتين، تتابَعَ كُتَّابُ الأناجيل في إيراد تلك العقائدِ في أسفارهم بعد أن أخذوها من بولس، ومما ورد في تلك الأسفار، أن يسوع المسيح قال لتلاميذه -فيما نُسِب إليه-: (من تقولون أني أنا؟ فأجاب سمعان بطرس وقال: أنت هو المسيح ابن الله الحي)[3]، وجاء في مقدمة إنجيل مرقس إثبات الطبيعة اللاهوتية للمسيح: (يسوع المسيح ابن الله)[4]، كما ذكر لوقا أنَّ الملَاك بشَّر مريم بأنَّ وليدها ابنُ الله، فقال: (القدُّوس المولود منكِ، يُدعَى ابنَ الله!)[5].

وأمَّا إنجيلُ يوحنَّا[6]؛ فهو الذي أعلن فيه صراحةً بتجسُّد المسيح، أي أنَّ اللَّاهوت حلَّ في الناسوت، أي جسد المسيح، فقال في مفتتح إنجيله: (في البدء كان الكلمة، والكلمة كان

(١) انظر: المسيحية- نشأتها وتطورها، شارل جنيبير، ص١٤٩.

(٢) انظر: المسيحية- نشأتها وتطورها، ص١٥٠.

(٣) متى ١٦/ ١٥، ١٦.

(٤) مرقس ١/ ١.

(٥) لوقا ١/ ٣٥.

(٦) هو الإنجيل الرابع في ترتيب الأناجيل التي هي من أسفار العهد الجديد، لكنه ليس من الأسفار السينوبتية (المتشابهة)، ويتكون من واحد وعشرين إصحاحًا، وقد ذكر ألوهية المسيح ﷺ صراحةً، وقرَّر في مقدِّمته فكرةَ تجسُّد المسيح أو الكلمة، وتحدَّث عن الموت والقيامة ورواية الآلام. انظر: المسيح في العقائد النصرانية، لأحمد عبد الوهاب، ص٧٢، مصادر النصرانية، لعبد الرزاق الأرو ١/ ٤٤٥-٤٤٦.

عند الله، وكان الكلمة الله)[1]، (والكلمة صار جسدًا، أو حلَّ بيننا)[2]، كما أورد ما يفهم منه عقيدة التجسد. (الذي رآني فقد رأى الآب، فكيف تقول: أرنا الآب؟! ألستَ تؤمنُ أنِّـي أنا في الآب، والآب في الكلام الذي أكلِّمُكم به؟! لستُ أتكلَّم به من نفسي، لكن الآب الحالَّ في، هو يعمل الأعمالَ، صدِّقوني أني في الآب والآب في)[3]. ومن ناحية أخرى فإن لقب ابن الإنسان الذي لم يستخدمه بولس قط، قد أبقى عليه يوحنا[4].

وعلى هذا يُعتبر إنجيل يوحنَّا مما ساهم في التحريف والعبث بالعقائد النصرانية، والقول بمقولة التجسُّد. ويرى شارل جنيبير أنَّ هذا الإنجيل هو الذي تَبرُز فيه النظريَّة اليوحانيَّة[5]،

(١) يوحنا ١/ ١-٢.

(٢) يوحنا ١/ ١٤.

(٣) يوحنا ١٤/ ٩، ١٠.

(٤) المرجع السابق، ص١٥٠.

(٥) ينسب النصارى هذا الإنجيل إلى الحواري يوحنا بن زبدي الصياد، من تلاميذ المسيح عليه السلام كما هو حال أخيه يعقوب. انظر: معجم الإيمان المسيحي، ص٥٥٢. والصواب: أنه منحول، وليس كاتبه يوحنا الحواري، بل يوحنا الإنجيلي، ولهذا كثرت الشكوكُ حول هذا الإنجيل كما ذكر غيرُ واحدٍ من المحقِّقين من العلماء؛ قال العالم الفرنسي بورس بوكاي: "أمَّا فيما يتعلق بيوحنا؛ فمِن العسير حقًّا التأكُّدُ بأنَّه كاتب الإنجيل الذي يحمل اسمه"، ويقول: "لا تتمسَّك غالبيَّة المعلِّقين بالفرض القائل بأنه للَّذي حرر الإنجيل الرابع". انظر : الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي، ص٩٠، ويقول القس فهيم عزيز -بناء على ذلك-: "إنَّ الكنيسة كانت بطيئةً في قَبولها لهذا الإنجيل". المدخل إلى العهد الجديد ص ١١١. وبناءً على ذلك، فمنذ نهاية القرن التاسعَ عشرَ، ظهر الاعتراض على نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا بشكل واسع، ووصفته (دائرة المعارف الفرنسية) بأنه إنجيل مزوَّر، وهذه الدائرة اشترك في تأليفها خمسمائة من علماء النصارى، ونصُّ كلامِهم: (أمَّا إنجيلُ يوحنا؛ فإنه لا مِرْيةَ ولا شك كتابٌ مزوَّر، أراد صاحبُه مضادَّةَ اثنين من الحواريين بعضهما لبعض، وهما القِدِّيسان يوحنا ومتَّـى، وقد ادَّعى هذا الكاتب المزوِّر في متن الكتاب أنه الحواري الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علَّاتها، وجزمت بأنَّ الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصًّا، مع أنَّ صاحبه غير يوحنَّا يقينًا، ولا يخرج هذا الكتابُ عن كونه مثلَ بعضِ كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نُسبت إليه، وإنَّا لَنرأفُ ونُشفق على الذين يبذلون منتهى جهودهم ليربطوا -ولو بأوهى رابطة- ذلك الرجل الفلسفي الذي ألَّف هذا الكتاب في الجيل الثاني، بالحواري يوحنا الصياد الجليلي؛ فإنَّ أعمالهم تضيع عليهم سُدًى لـخَبْطِهم على غير هدى). وقد نسب محمد أبو زهرة هذا النصَّ إلى دائرة المعارف البريطانية. انظر: محاضرات في النصرانية، ص٥٥- ٥٦.

التي تعتمد على ربط المسيح باللوغوس[١].

وعلى هذا فجنيبر يعتبر ما قام به يوحنا أقوى مما فعله بولس؛ فيوحنا ربط المسيح باللوغوس، وهذا يدل على ظهور فيض الإله أولًا حتى يصل في نهاية الأمر إلى أن يكون تعبيرًا عن الإله، ويترتب على ذلك أن القول: (بأنَّ السيد "المسيح" هو اللوغوس، يكاد يكون مرادفًا للقول بأن السيد هو الله)[٢]. وهذا إعلانٌ للتجسُّد بشكلٍ صريح.

ويعتقد النصارى أنه توجد نبوءات مهَّدت للتجسُّد، وجعلت أتباعَ الدين النصراني مستعِدِّين لتقبُّل هذه الفكرة والإيمان بها، ومن ذلك:

تنبُّؤ الأنبياء -عليهم السلام- بنَسب المسيح، وأنه سيأتي من نسل امرأةٍ[٣]، وأنه من نسل سام[٤]، ومن نسل إبراهيم[٥]، ومن إسحاق دون إسماعيل[٦]، ومن سِبط يهوذا[٧]، ومن نسل داود[٨].

كذلك تنبأ إشعياء أنَّه سيولَد من عذراء[٩]، وتنبأ دانيال بزمن مجيئه بدقَّة[١٠]، وتنبأ إرميا بمذبحة بيت لحم[١١].

=وللاستزادة، انظر: دراسات في الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجيد)، د. محمود حماية، ص٦٥- ٦٧، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، لسعود بن عبد العزيز الخلف، ص٢٢٢- ٢٢٣.

(١) اللوغوس أو (اللوجوس): هو التشبيه المجازي للكلمة الإلهية، يقصدون: المسيح المتجسد. انظر: موسوعة آباء الكنيسة ١/ ٢٢٧.

(٢) المرجع السابق، ص١٥٠.

(٣) سفر التكوين ٣/ ٥.

(٤) المرجع السابق، ٩/ ٢٦.

(٥) المرجع السابق، ١٨/ ١٨.

(٦) المرجع السابق، ١٧/ ١٩.

(٧) المرجع السابق، ٤٩/ ١- ١١.

(٨) سفر المزامير ٨٩.

(٩) سفر إشعياء ٧/ ١٤.

(١٠) سفر دانيال ٩/ ٢٤- ٢٧.

(١١) سفر أرميا ٣١/ ١٥.

كما يعتقدون أنه توجد ظهورات مهَّدت للتجسُّد، ومن ذلك:

أنَّ أسفار العهد القديم زاخرةٌ بالأحداث التي تُعلِن عن ظهور الله للآباء في القديم بصورة مرئيَّة؛ مثل: ظهور الله لإبراهيم وهاجر وإسحاق ويعقوب، وموسى وهارون وإشعياء ودانيال وغيرهم، وأنَّ لكلِّ ظهورٍ مدلولَه الخاصَّ ورسالتَه التي تتعلَّق بالموقف نفسه، وأنَّ هناك رسالةً عامَّة، وهي إمكانية ظهور الإله لكل الأجيال، وإمكانية التجسد، وأنه بإمكان الإله أن يتخذ جسدًا حقيقيًّا ليتمِّم فداء الإنسان(١).

❁❁❁

المطلب الثاني

دور المجامع الكَنَسيَّة في تثبيت عقيدة التجسد

تعتبر قرارات المجامع الكنسية من أهم ما ثبَّت عقيدة التجسد، واكتسبت هذه العقيدة مزيدًا من الشرعيَّة والقوة عبرَ قرارات هذه المجامع، وهنا عرض لأبرز تلك المجامع ونظرتها لعقيدة التجسد:

أولًا: مجمع نيقية سنة ٣٢٥م:

وهو أول المجامع، وفيه تم تقرير ألوهية المسيح وعقيدة التجسُّد، وهذا هو الإعلان الذي أُقرَّ في هذا المجمع: (نؤمن بإلهٍ واحد، آب قدير خالق، كل ما يُرى وما لا يرى؛ وبرب واحد، يسوع المسيح ابن الله المولود الوحيد من الآب، أي جوهر الآب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ لآب في الجوهر، الذي به كان كلُّ شيء، ما في السماء، وما على الأرض، الذي لأجلنا نحن البشر، ولأجل خلاصنا، نزل وتجسَّد، وتأنس وتألم، وقام في اليوم الثالث وصعد إلى السماوات، وسيأتي ليدين الأحياء والأموات، وبالروح القدس. أما الذين يقولون: "كان زمان لم يكن فيه"، أو من أقنوم أو جوهر آخرين، مؤكِّدين أن ابن الله مخلوق، أو أنه قابل للتغير أو التحول؛ فهؤلاء تحرمهم الكنيسة الجامعة)(٢).

---

(١) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، القس بيشوي حلمي، ص٢٠٨.

(٢) هذه ترجمة النص اليوناني، وترجمة النص اللاتيني قريبة جدًّا منها. انظر: الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، دنتسنغر-هونرمان ١/ ٤٤-٤٥.

ولأجل هذه القراراتِ المهمَّة في العقائد النصرانية، اعْتُبر هذا المجمع أهمَّ المجامع الكنسيَّة في تاريخ النصرانية، وبسببه توحَّدت المعتقَدات، ولم يَعُدْ هناك مَن يجرؤ على إبداء خلافِ هذه العقائد، وإلَّا قوبل بالطَّرْدِ والحرمان.

ثانيًا: مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١م:

ويعتبر ثاني المجامع المسكونية، وفيه تم التأكيد على قرارات مجمع نيقية، مع زيادة عبارة في مسألة التجسد، وهي: (تجسَّد من الروح القدس، ومن مريم العذراء وتأنس)[١]. وهذه الزيادة مهمة؛ حيث تجمع بين كمال الألوهيَّة وكمال البَشَريَّة.

ثالثًا: مجمع أفسس سنة ٤٣١م:

وهو المجمع المسكوني الثالث، عُقد في مدينة أفسس في الكنيسة الكبرى فيها، والتي تسمى "كنيسة والدة الإله"، فبعدَ الاتفاق على عقيدة الطبيعتين "اللاهوتية والناسوتية" للمسيح، حدث الخلاف في تلك العقيدة، وأظهر الخلاف نسطور "نسطوريوس"، وهو أسقف القسطنطينية في ذلك الوقت، وقد كان يُطلَق لقب والدة الإله على مريم العذراء، فأبى نسطور ذلك، ورأى أن يُطلَق عليها "والدة المسيح"؛ لأنها ولدت إنسانًا لا إلـهًا، وأن الطبيعتين منفصلتان، وقال: "إني لا أعترف أنَّ طفلًا عمرُه شهران أو ثلاثة، إله"[٢]. لكن المجمع قرَّر تسمية مريم أُمَّ الله! وكان من قراراته: "من لا يعترف بأن عمانوئيل هو الله الذي في الحقيقة، وأن مريم العذراء لهذا السبب هي أم الله -لأنها ولدت بالجسد كلمة الله المتجسد- فليكن مبسلًا[٣])[٤].

وحرم نسطور وجرد من الأسقفية ومن كافَّة الامتيازات الكنسية، جاء في المجمع: (إنَّ ربنا يسوع المسيح الذي جدَّف عليه نسطوريوس، يحكم بواسطة هذا المجمع المقدس بوجوب

(١) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ١/ ٥٧.

(٢) مجموعة الشرع الكنسي، حنانيا إلياس كساب، ص٣٥٧.

(٣) كلمة "إبسال" هي كلمة عربية استُعمِلت في الترجمات القديمة للعهد القديم؛ للدلالة على التحريم. انظر: معجم الإيمان المسيحي، ص٧.

(٤) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ١/ ٩١، وانظر: مجموعة الشرع الكنسي، حنانيا إلياس كساب، ص٣١٩.

تجريد نسطوريوس من الكرامة الأسقفية، ومن كلِّ شركة كهنوتية)[1].

ومما قُرِّر في المجمع، حرمانُ وطردُ مَن لا يعترف بتجسُّد الكلمة: (ليكن مبسلًا كلُّ مَن يقول: إنَّه ليس الكلمة الإلهي نفسه الذي تجسَّد وصار إنسانًا على شبهنا؛ بل هو ذلك الإنسان الآخر المولود من امرأة، ولكنه يختلف عن باقي الناس)[2].

رابعًا: مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م "المجمع المسكوني الرابع":

لم يحسم المجمع المسكوني الثالث مسألة اجتماع الطبيعة الإلهية مع البشرية، فعُقِد لأجل هذه المسألة هذا المجمع، وفيه قرَّروا أنَّ المسيح له طبيعتان بعد الاتحاد غير ممتزجتين في شخص واحد[3]، وفي بيان المجمع جاء ما يلي: (ذات المسيح الواحد، ربٌّ واحد وحيد، معروف في طبيعتين، بلا اختلاط، ولا تحول ولا انقسام ولا انفصال، دون إلغاء لاختلاف الطبيعتين بسبب الاتحاد؛ بل بالحريِّ مع احتفاظ كل طبيعة بخاصيتها متلاقيتين في شخص واحد في أقنوم واحد، مسيح لا يتجزأ أو لا يتقسَّم في شخصين)[4].

خامسًا: مجمع القسطنطينية سنة ٦٨١:

وفيه نوقشت مسألة مشيئة المسيح، هل هي مشيئة واحدة، أو مشيئتان؟ وقُرِّر في هذا المجمع أنَّ المسيح شخص واحد ذو طبيعتين ومشيئتين، والمشيئتان إلهية وبشرية كما هو الحال في الطبيعتين[5].

❁❁❁

(١) مجموعة الشرع الكنسي، ص٣٢٢.

(٢) المرجع السابق، ص٣١٩.

(٣) انظر: مصادر النصرانية، عبد الرزاق الأرو ٢/ ٧٩٨.

(٤) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ١/ ١٠٥.

(٥) انظر: مجموعة الشرع الكنسي، ص٤٨٩، مصادر النصرانية ٢/ ٨٤٢- ٨٤٣.

المطلب الثالث

رؤية طوائف النصارى الحديثة للتجسُّد(١)

أولًا: التجسد في الرؤية الكاثوليكية والبروتستانتية:

رؤية الكاثوليك مبنيَّة على معتقَدِهم في طبيعة المسيح؛ فهم يرون أنَّ له طبيعتين منفصلتين عن بعضهما البعض، وهما الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية، وهاتان الطبيعتان اتَّـحَدتا في شخص المسيح، وقالوا بحدوث هذا التجسُّدِ والاتحاد بدون امتزاج أو اختلاط تمامًا، فهو كاتحاد النار في الصفيحة المحماة.

ويلخص "علم اللاهوت النظامي" كيفيَّةَ التجسُّدِ واتحاد اللاهوت بالناسوت عند النصارى الكاثوليك، في النقاط التالية:

١. أنَّ في المسيح طبيعتين -اللاهوتية والناسوتية- وهما متحدتان اتحادًا لا يقبل الانفكاك.
٢. أن هاتين الطبيعتين غير ممتزجتين امتزاجًا يتكون منه طبيعة ثالثة متميزة عن كلٍّ منهما، بل إنَّ كلَّ واحدةٍ منهما حافظةٌ لخواصِّها.
٣. لم تنتقل صفة من الطبيعة الإلهية إلى البشرية، وبالأَوْلى لم تنتقل صفة من الطبيعة البشرية إلى الطبيعة الإلهية؛ أي أن الناسوت لم يصبح إلهًا واللاهوت لم يصبح ناسوتًا.
٤. أنَّ اتحاد الطبيعتين ليس على سبيل حلول الطبيعة الإلهية في البشرية، بل على سبيل اتحاد

(١) حكاية مذهب طوائف النصارى في التجسد والاتحاد طويل ومتشعب، والأفضل -من وجهة نظري- أن يرجع فيه إلى ما استقرت عليه الطوائف الحديثة "الكاثوليك، البروتستانت، الأرثوذكس"، والتي هي امتداد للطوائف القديمة المشهورة: "اليعقوبية، والنسطورية، والملكانية"، وهذا لا يعني أن الطوائف الأخرى لم تذكر في كتبها هذه العقيدة، لكن تتبُّع ذلك فيه صعوبة لا تخفى؛ يقول القاضي عبد الجبار: "لأن ضبط جميع مذاهبهم يصعب؛ لكون مقالَتِهم مبنيَّة على أصول غير معقولة وعبارات لا تتحصل معانيها". المغني في أبواب التوحيد والعدل ٥/ ٨١. بل حتى الطوائف الحديثة يصعب تقرير أقوالهم؛ لكثرة الاختلاف، ولغموض وخفاء والتباس بعض ما كتبوه، وهو راجع لمخالفة العقل ووجود التناقض؛ يقول الجاحظ عن غموض والتباس عقائد النصارى عمومًا: "ولو جهدت بكل جهدك، وجمعت كلَّ عقلِك أن تفهم قولهم في المسيح، لَما قدرت عليه حتى تعرف به حد النصرانية، وخاصةً قولهم في الإلهية. وكيف تقدر على ذلك وأنت لو خلوت ونصراني نسطوري فسألته عن قولهم في المسيح لقال قولًا، ثم إن خلوت بأخيه لأُمِّه وأبيه وهو نسطوري مثلُه فسألته عن قولهم في المسيح لأتاك بخلاف قول أخيه وضده؟!". المختار في الرد على النصارى، ص٦٨.

شخص نشأ منه؛ أي أنَّ المسيح شخص واحد بطبيعتين متمايزتين إلى الأبد، أي أنه هو إله وإنسان في وقت واحد(١).

ويتفق البروتستانت مع الكاثوليك في هذه العقيدة؛ حيث إنهم بعد انفصالهم عن الكاثوليك لم يُغيِّروا معتقدَهم في الطبيعتين والتجسد، وهم يتبعون القانون الذي أُقِرَّ في مجمع خلقيدوينة، وفيه: (نُعلِّم البشر أن يعترفوا بالابن الوحيد، ربنا يسوع المسيح، الكامل في اللاهوت والكامل أيضًا في الناسوت، إله حق وإنسان حق، ذو نفس ناطقة وجسد، جوهر واحد مع الآب بحسَب لاهوته، وجوهر واحد معنا بحسَب ناسوته، في كل شيء مثلنا ما عدا الخطيئة. مولود واحد قبل كل الدهور بحسَب لاهوته، وفي هذه الأيام الأخيرة من أجلنا ومن أجل خلاصنا، ولد من مريم العذراء والدة الإله بحسب ناسوته.

هو مسيح واحد، ورب واحد، والمولود الوحيد، كائن بطبيعتين غير ممتزجتين، ولا متغيرتين ولا منقسمتين ولا منفصلتين، والفرق بين الطبيعتين لم يتلاشَ باتحادهما، بل خواص كلٍّ منهما الخاصة باقية في شخص واحد وكائن واحد، غير منفصل ولا منقسم إلى شخصين، بل الابن الوحيد والمولود الوحيد، الله الكلمة يسوع المسيح، كما أنبأت عنه الأنبياء منذ البدء، وكما علَّمَنا الرَّبُّ يسوع نفسُه، وكما سلَّمنا قانون إيمان القديسين)(٢).

وقد وضح المهتدي نصر بن يحيى المتطبب(٣) عقيدة الكاثوليك في التجسد، وبيَّن أنهم يعتقدون أن المسيح بعد التجسد له طبيعتان، ولكل واحد من الطبيعتين مشيئة كاملة؛ فله باللاهوتية مشيئة الآب والابن والروح القدس، وله بناسوته مشيئة البشر، وأن الله لم يمت،

(١) انظر: علم اللاهوت النظامي، القس جيمس أنس، ص٨٧٠.

(٢) علم اللاهوت النظامي، ص١٣٠- ١٠٤.

(٣) ذكر محقِّق كتاب النصيحة الإيمانية في فضيحة الملَّة النصرانية، د. محمد الشرقاوي، أن اسم الرجل هو يحيى بن يحيى بن سعيد المتطبب، توفي سنة ٥٨٩هـ، وأنه كان نصرانيًّا فأسلَمَ، وردَّ على عقائد النصارى. انظر: مقدمة تحقيق النصيحة الإيمانية، للدكتور محمد الشرقاوي، ص١٦- ١٩، وانظر ترجمته في: معجم الأدباء ٦/ ٢٨٣٥، أمَّا حاجي خليفة في كشف الظنون؛ فذكر أنَّ الصواب أنَّ اسمه نصر بن يحيى بن سعيد المتطبب، وأنه اشتَهَر بالمهتدي. انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة ٢/ ١٩٥٧.

وأن الذي ولدته مريم مات بجوهر ناسوته، وله مشيئة اللاهوت والناسوت، وهو شخص واحد[١].

ثانيًا: التجسد في الرؤية الأرثوذكسية.

عقيدتهم هي الاتحاد بين الطبيعتين؛ اللاهوتية والناسوتية، بحيث لا يمكن التمييزُ بينهما، وأن الاتحاد بين هاتين الطبيعتين حدث بلا اختلاط ولا امتزاجٍ بينهما؛ فهو اتحادٌ أقنومي كامل، دائمٌ غيرُ منفصل، وباتحاد هاتين الطبيعين الإلهية والبشرية تكوَّنت طبيعة واحدة ومشيئة واحدة، هي طبيعة ومشيئة الله الكلمة المتجسد[٢].

وقد اعتمد الأرثوذكس في كيفية اتحاد اللاهوت بالناسوت على ما ورد في الإنجيل: (الله ظهر في الجسد)[٣]، وما جاء عن المسيح بأنه: (صورة الله غير المنظور)[٤].

يقول القديس كيرلس الكبير[٥] شارحًا الطبيعة المتجسِّدة الواحدة: (لنأخذ مثالًا من طبيعتنا ذاتها؛ إذ خلقنا من نفس وجسد لهما طبيعتان قبل اتحادهما، وباتحادهما صارا إنسانًا بطبيعة واحدة، لم تتغير النفس إلى طبيعة الجسد لاتحادهما؛ إذ لم تَصِر النفس جسدًا ولا الجسد نفسًا، وإنما صارت النفس مع الجسد طبيعة واحدة، وإنسانًا واحدًا)[٦]. فحقيقةُ التجسد عند

---

(١) انظر: النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، ص٦٠.

(٢) انظر: طبيعة المسيح، للبابا شنودة الثالث، ص٧، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، ص٢١٨- ٢١٩.

(٣) رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ٣/ ١٦.

(٤) رسالة بولس إلى أهل كولوسي ١: ١٥.

(٥) هو البابا الرابع والعشرون للكنيسة القبطية بالإسكندرية، وُلد في حوالي ٣٨٠، وعند وفاة عمه البطريرك ثيوفيلس، أُقيم خليفةً له سنة ٤١٢. كان مدافعًا شرسًا عن عقديته، وردَّ على النسطورية، وقام بدور مهم في مجمع أفسس ٤٣١؛ حيث طلب إعلان أمومة مريم الإلهية، وعُزل عن كرسيه بأمر من ثيوذوسيوس الثاني، لكنَّه ما لبث أن أُعيد إليه، فسيطرت شخصيته على الشرق المسيحي حتى وفاته ٤٤٤. ترك إلى جانب شروحه للكتاب المقدس مؤلَّفات دفاعيَّة وعقائديَّة. انظر: معجم الإيمان المسيحي، ص٤٠٦، وتاريخ الفكر المسيحي، حنا جرجس ٣/ ٢٥.

(٦) إيماننا المسيحي صادق وأكيد، القس بيشوي حلمي، ص١١١، وقد نقل نصر بن يحيى المتطبب المهتدي - الأرثوذكسي سابقًا- عنهم أنهم يقولون: (إنَّ كنيستنا المستقيمة الرأي، تعتقد بأن الأقنوم الثاني تجسد من روح القدس ومن مريم العذراء، مُصَيِّرًا هذا الجسد معه واحدًا وحدةً ذاتية جوهرية منزَّهة عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة، بريئة من

الأرثوذكس، أنَّ أقنوم الآب قد حلَّ بجسد المسيح واتَّـحد، فصار إنسانًا بالصورة فقط دونَ الحقيقة، فهو إله، فتعبيرُ الابن عندهم هو الأنسب والأصدقُ في لغة البشَر؛ حيث يوضِّح عملية التجسد[1].

❁❁❁

المطلب الرابع

الغاية من اعتقاد التجسَّد عند النصارى

تعدَّدت عبارات النصارى في الإجابة عن سؤال: ما الغاية من التجسد؟ أو لِـمَ تجسَّدت الكلمة؟

ومن ذلك:

١. **أنَّ التجسد حصل لأجل الفداء**[2]؛ فلا يمكن للنصراني أن يصل للخلاص[3] إلَّا بالفداء، ولا فداءَ من الرَّبِّ بدون سفكِ دمٍ وموت، ولا موتَ بدون تجسُّد. وهنا كان لا بد من اتحاد اللاهوت بالناسوت، وهذا الرأي هو ما توافرت عليه قرارات المجامع الكنسية[4].

وأكد بولس في كلمات له، أنَّ موت المسيح كان لأجل هذه البشرية، فيقول: (وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعدُ لا لأنفسهم، بل للَّذي مات لأجلهم وقام)[5]. وهو

=الانفصال، تركَّبَتا كما تتركب النفس مع البدن، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين، ومشيئة واحدة من مشيئتين قبل الاتحاد). النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، ص٥٨.

(١) انظر: النصارى الأقباط، حمود السلامة، ص١٨٩.

(٢) الفداء: هو أحد أسرار الدين المسيحي الجوهرية؛ فالخلاص يصل إلى البشر عبر يسوع -كما يقولون- وموته يحررهم كما لو كانوا هم أنفسهم يحتملون العقاب ويؤدون الفداء. انظر: معجم الإيمان المسيحي، ص٣٥١.

(٣) الخلاص هو: الانتشال من الهلاك وإعادة السلامة، وبما أن مصدر الهلاك هو الخطيئة والموت، فأول عناصر الخلاص الحقيقي الروحي هو التحرير من الخطيئة والموت، والخلاص الذي نالته البشرية استُحق، وناله فصح يسوع المسيح. انظر: معجم الإيمان المسيحي، ص٢٠٤.

(٤) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، ص٢٠٥.

(٥) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس (٥: ١٥).

قول آباء الكنيسة؛ كترتليان[1]، وكيرلس الإسكندري؛ حيث يقول: (لقد كان تجسُّد الكلمة وتأنسه أمرًا لا بد منه لخلاص الناس على الأرض. فلو لم يكن قد وُلد مثلَنا بحسَب الجسد، لَمَا كان قد اشترك في الذي لنا، وبالتالي لَمَا كان حرَّر طبيعة الإنسان من الوصمة التي أصابتها في آدم، وما كان قد طرد الفساد من أجسادنا)[2]. وأثناسيوس[3]، وهو من أشهر مَن صرَّح بمقولة التجسد ودافع عنها، وذكر هذا في كتابين له، هما: "تجسد ربنا يسوع المسيح"، والثاني بعنوان: "تجسد الكلمة"، وفي هذا يقول القديس إثناسيوس الرسولي: (إنَّنا بحق نعبده؛ لأنَّ الكلمة تجسد، وصار جسده هو جسد الله، ولكننا لا نعبد الناسوت دون اللاهوت، أو اللاهوت دون الناسوت)[4].

ومنهم القديس إيريناوس[5]، الذي يقول: (لو كان الجسد في غير حاجة إلى الخلاص، لَمَا

(١) هو فلورنس ترتليانوس، ابن قائد مائة روماني، درس الحقوق وعمل كمحامٍ في روما، أثر ترتليانوس بشكل كبير في آباء الكنيسة بالأخص الآباء الغربيين، وخصوصًا كبريانوس. اعتنق النصرانية وهو في الثلاثين من عمره، وصار مجادلًا لأعداء النصرانية من الوثنيين واليهود وغيرهم، وقد كان علَّامةً في اللغتين اليونانية واللاتينية. أهم مؤلفاته:
١- في تحديد الهراطقة؛ وفيه: كيف أنه للكنيسة وحدها الحق في تحديد عقائد الإيمان القويم، وما هي الهرطقات؟٢- في المعمودية. ٣- في الصلاة. ٤- في التوبة. توفي عام (٢٢٠م). انظر: الموسوعة العربية المسيحية على الشبكة العنكبوتية:
http://198.62.75.4/www1/ofm/1god/padri/tertulliano.htm

(٢) رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكي، ص٢٦. وانظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، ص٢٠٧.

(٣) أثناسيوس: بطريرك الإسكندرية، وأحد آباء الكنيسة، ولد سنة ٢٩٨ وتوفي سنة ٣٧٣، وقد أسهم بشخصيته وذكائه - مع كونه شماسًا إنجيليًّا- في جَعْل قرارات مجمع نيقية تُحرِّم بدعة آريوس، ثم أقيم بعد ذلك مطرانًا على الإسكندرية سنة ٣٢٨، نُفي عدَّةَ مرَّات بسبب تمسُّكِه بتعاليم مجمع نيقيه، وذلك على يد بعض القساوسة المتحالفين مع مجموعة الآريوسيين. له عدة مؤلفات، منها: الرد على الوثنيين، والدفاع عن الإيمان، والرد على الآريوسيين. انظر: معجم الإيمان المسيحي، ص١٧- ١٨.

(٤) تجسد ربنا يسوع، القديس إثناسيوس الرسولي، ص٢٢.

(٥) إيريناوس: عاش في القرن الثاني الميلادي، وشهد أيام اضطهاد سنة ١٧٧، وتوفي عام ٢٠٢م، وهو أسقف مدينة ليون بفرنسا. وكان القديس إيريناوس واحدًا من أشهر آباء الكنسية الأوائل، ومن أهم المدافعين عن العقيدة المسيحية، وكانت كتاباته تقويمية في فترة بداية انتشار ونمو علم اللاهوت المسيحي، كما كان مستمعًا للأسقف بوليقربوس، وتلميذًا وتابعًا للقديس يوحنا الرسول، من مؤلفاته: "عرض وتفنيد للعرفان الكاذب". انظر: معجم الإيمان المسيحي، ص٨٤.

صار الكلمة جسدًا. ولو لم يكن من الضروري أن يأتي الله باحثًا عن دم الأبرار، لَمَا أخذ الكلمة جسدًا)[١].

ويؤكد القس جيمس أنس أنَّ التجسد يقتضي هدفًا لهما، ويستوجب التجسد ويتم به وفيه، وهو افتداء الإنسان الذي سقط وتلبَّس بالخطيئة، وأنَّ المعين له فقط هو الإله المتجسد؛ لأنَّه وحدَه قادرٌ على مطالب الخلاص[٢].

٢. **إعادة الصورة الإلهية للإنسان (تأليه الإنسان)**؛ حيث يعتقد النصارى أنَّ البشر سقطوا بخطيئة أبيهم، وخرجوا من الجنة، وتلبَّست بهم شناعة الذنب، وأنَّ توبة آدم لم تكن كافيةً ليعود أصل البشرية "آدم" إلى الجنة، كما يقرر القديس أثناسيوس أنَّ التوبة لا تكفي وحدَها؛ فلذلك اتخذ الإله جسدًا قابلًا للموت ليتمَّ فداءُ الناس[٣].

وقد ذكر عدد من آباء الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية، أنَّ التجسد ليس مرتَّبًا فقط بالخطيئة، بل هناك غاية عالية، وهي محبة الإله؛ إذ لو لم يخطئ الإنسان، لَتجسَّدت الكلمة أيضًا، فاللهُ قد خلق العالَـم بدافع المحبَّة أولًا[٤].

وهذا التَّأليهُ الذي يُـمنح للإنسان، هو نعمةٌ كبرى كما يقرِّر آباء الكنيسة الشرقية[٥]، فالله عندهم نزل وتجسَّد ليرفع الإنسان إليه في حياته الإلهية[٦].

---

(١) التجسد، ص١٣٩.

(٢) انظر: علم اللاهوت النظامي، ص٤٤١.

(٣) انظر: التجسد وأحداث الميلاد، للقس إسحاق نجيب، ص١١.

(٤) انظر: التجسد فيض المحبة، يوسف ريا وكيرلس بسترس، ص٢٦.

(٥) ليس هذا المعتقد محلَّ إجماع عند النصارى عمومًا، ولا عند الكنائس الشرقية خصوصًا؛ فقد عارض الباب شنودة هذا الرأي القائل بأن المسيح تأنس أو تجسَّد لتأليه الإنسان، حيث يقول: (... تأليه الإنسان معناه أن يتَّصف بالصفات الإلهية، لذلك محال؛ لأن أحد الآباء نادى بهذا التألُّه! ينادون باتحاد طبيعة إلهية بطبيعة بشرية! وبأن غاية التجسد الإلهي بلغت ذروتها يوم الخمسين! وبأن الكنيسة هي امتداد للتجسد الإلهي! وبأن الرسل "البشر" اتحدوا بالروح القدس كأقنوم). بدع حديثة، للبابا شنودة، ص١٤٢، وقال في موضع آخر ص١٤٥ حول نسبة هذا الكلام للآباء: (إنها جرأة ينبغي أن يرتفع عن مستواها من يحترم الدقة في أسلوبه، وبخاصة حينما يتعرض لموضوعات لاهوتية).

(٦) انظر: اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ٢/ ١٥٦.

ويوضح القس حنا الخضري اعتقاد الأب كيرلس في هذه المسألة، فيقول عنه: (هو يعتقد أن الغرض من عملية التجسد ليس فداء الإنسان الخاطئ الأثيم، وخلاصه من الخطيئة التي ورثها عن آدم فحسبُ، بل إنَّ الله يريد أيضًا أن يرفع عن الإنسان الخاطئ العاصي المتمرِّد إلى درجة ابن الله، بل ذهب كيرلس إلى أبعد من ذلك؛ فهو يعتقد أنَّ عملية التجسد لم تُنقِذِ الإنسانَ من الموت الأبدي والهلاك فقط، بل إنه أصبح الآن شريكًا في الطبيعة الإلهية.

فإذا كان الكلمة في تجسُّدِه قد مـجَّدَه ناسوته ومنح له كل امتيازات اللاهوت، فإن الله بمحبته يشرك الإنسان في طبيعته الإلهية)[1].

كما يؤكد الأب سليم بستري هذا المعنى، بأن غاية التجسد كما ليست التكفير عن الخطيئة الأصلية بل تأليه الإنسان بولادته ولادة جديدة في المسيح على صورة المسيح[2].

٣. الشَراكة مع المسيح فيما لله.

يرى النصارى أنَّ من الأمور المهمة أن يشترك البشر مع المسيح فيما هو لله، فيصبحوا أبناء لله كما هو المسيح، وهذه البنوة بنوة تبني، فقالوا: (باتخاذ المسيح جسدًا، أصبح مثلهم ويُدعى ابن الإنسان)[3]، (ليكون بكرًا بين إخوة كثيرين)[4]، (الذي هو صورة الله غير المنظور، بكر كل خليقة)[5]، (وبذلك لَمَّا كان كلمة الله هو ابن الله؛ لأنه جوهر اللاهوت، صرنا نحن -هم- أبناء الله بالتبني)[6].

وهم يفرقون بين بنوَّة المسيح وبنوَّتهم، فبنوَّة المسيح بنوَّة حقيقيَّة، فهو ابن إله، وأما بنوَّتهم فبنوَّة مخلوقة وهي تشريف لهم، كما في موسوعة الحقائق الكتابية: (لأن بنوَّته هو للآب بنوَّة إلهية أزلية بغير ولادة، أما بنوَّة المؤمنين لله فهي بنوَّة رُوحية حادثة في الزمان بولادة ثانية

(١) تاريخ الفكر المسيحي ٣/ ١٤٤.

(٢) انظر: اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ٢/ ٢٢١.

(٣) لوقا ٥: ٢٤.

(٤) رسالة إلى رومية ٨: ٢٩.

(٥) كولوسي ١/ ١٥.

(٦) رسالة إلى رومية ٨: ١٥، ١٦.

منه، فهي بنوة مخلوقة)[1].

وقد استدلَّ النصارى على حدوث هذه الشراكة مع المسيح بعدد من الأدلة من الكتاب المقدس، ومنها:

- (وكلُّ ما هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي)[2].
- (كل ما للآب هو لي)[3].
- قول المسيح: (أنتم الذين ثبتوا معي في تجاربي، وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتًا؛ لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي)[4].
- بيَّـن بولس أنه بالتجسد حصلت الشراكة مع الابن: (شاكرين الآب الذي أهَّلنا لشراكة ميراث القديسين في النور الذي أنقذنا من سلطان الظلمة، ونقلنا إلى ملكوت ابن محبَّتِه)[5].

ويرى النصارى أنه بتجسُّد الإله في السيد المسيح عندهم، أنهم أصبحوا شركاء مع المسيح فيما لله، وصاروا أبناء لله تعالى بالتبنِّـي، وأن البشرية بالمسيح انتقلت من وضع العبيد إلى وضع البنين، يحتضنهم الآب في أبوَّة حانية[6].

كما أنهم يرون أنه بهذه الشراكة أصبح من حقِّهم التنعُّم بنعيم الأرض والسماء؛ فالشراكة مع يسوع تمنحهم ذلك، وأنهم لأجل تلك الشراكة وضعوا أيديهم على جميع الأشياء الأرضية، وأنَّ المسيح الأزلي قال لأبيه: "أيها الآب، أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا؛ لينظروا مجدي الذي أعطيتني، لأنك أحببتني قبل إنشاء هذا العالم"[7]. فهم إذن نالوا

(١) موسوعة الحقائق الكتابية، ص٤٢٠.

(٢) يوحنا ١/ ١٢.

(٣) يوحنا ١٦/ ١٥.

(٤) لوقا ٢٢/ ٢٨ - ٣٠.

(٥) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كولوسي ١: ١٢، ١٣.

(٦) انظر: سفر يوحنا ١/ ١٢.

(٧) يوحنا ١٧/ ٤٩.

الشراكة مع الله، واستحقوا هذه السعادة والغبطة[١].

ويرى القس جيمس أنس أن هذه البنوة التي حدثت لأتباع المسيح، منحتهم جملةً من الحقوق والثمار، ومنها[٢]:

١. حق الاقتراب إلى الآب السماوي بثقة البنين؛ كقوله: (إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضًا للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الآب)[٣].

٢. نوالُ حرية البنين؛ لأنَّنا افتدينا من تحت الناموس لننال التبني، فصار الناموس لنا ناموس الحرية لا العبودية، وصارت طاعتنا طاعة البنين لا العبيد.

٣. نوال خيرات الأب السماوي، وتأديباته وحمايته الخاصة.

٤. نوال ميراث القديسين المحفوظ في السماء لأجلنا.

٤. اقتراب الله من البشر وإشعارهم بالأنس.

يعتقد النصارى أنَّ من غايات التجسد الإلهي، القرب من البشر وإيناسهم، وأن الإنسان أدرك حقيقة الله منظورة كاملة في حب ظاهر، وطهارة منزَّهة عن كل ضعف، وقداسة فائقة كلُّها منعطفة ناحية الإنسان[٤].

وأنَّ النفس البشرية نالت ما تتمنَّاه بالعودة إلى إلهها والاتصال به؛ ولهذا تجسَّد الإله في المسيح، واقترب بهذا من البشر، وحظيت النفس البشرية حينها بالخلاص[٥].

وقد أعلن المسيح عن نفسه -بزعمهم- بأنه هو الإله المتجسِّد ببعض الكلمات التي قالها للناس ليأنسوا، فقال: (أنا هو لا تخافوا)[٦]، وقال: (أنا هو خبز الحياة)[٧]، وقال: (متى رفعتم

(١) انظر: الوحدة الحقيقية بين المسيح والنفس التقية، يوسف هول، ص٥٥، ٥٦.

(٢) انظر: علم اللاهوت النظامي، ص٥٦٨.

(٣) رسالة إلى رومية ٨/ ٢٩.

(٤) الإيمان بالمسيح، متى المسكين "يوسف إسكندر"، ص٥.

(٥) انظر: الكلمة صار جسدًا وحلَّ بيننا، راغب عبد النور، ص٣٩.

(٦) متى ١٤/ ٢٧.

(٧) يوحنا ٦/ ٣٥.

ابن الإنسان، فحينئذٍ تفهمون أني أنا هو)[1]، وقال: (أنا هو نور العالم)[2]، وقال: (أنا هو الطريق والحق والحياة)[3]، وقال: (أنا هو الألف والياء، الأول والآخر)[4]، وقال: (أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية)[5].

❁❁❁

(١) يوحنا ٨/ ٢٨.

(٢) يوحنا ٨/ ١٢.

(٣) يوحنا ١٤/ ٦.

(٤) رؤيا يوحنا ١/ ١١.

(٥) رؤيا يوحنا ٢١/ ٦.

المبحث الثالث

نقد عقيدة التجسد

لقد بعث الله أنبياءه ورُسلَه؛ لدعوة الناس إلى توحيد الله، وإفراده بالعبادة، وألَّا يُشرَكَ به غيرُه من البشر أو من بقية المخلوقات.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وعلى هذا الطريق سار أنبياء الله ورسله، وواجهوا ما واجهوه من أقوامهم من الإنكار والإيذاء المتنوع، وصبروا؛ لتصل دعوة التوحيد إلى كل البشر.

وعيسى عليه السلام ممن سار على هذا النهج الرضي، وأمضى عمره في الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك.

وقد جاءت آيات الكتاب العزيز شاهدةً بهذا، ومن تلك الآيات:

- قول الله تعالى على لسان عيسى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٥١﴾[آل عمران: ٥١].
- وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝٧٢﴾[المائدة: ٧٢].
- وبشَّر عليه السلام برسول يأتي من بعده، يكمل مسيرة الأنبياء التوحيدية، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦﴾[الصف: ٦].

وقد بيَّـن القرآن طبيعة عيسى عليه السلام ودعوته للناس، وأنه رسول من عند ربه.

- قال سبحانه على لسان عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۝٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝٣٣﴾[مريم: ٣٠-٣٣]، قال البغوي: (أتاها زكريا عند مناظرتها اليهود، فقال لعيسى: انطِقْ بحجَّتِك

إن كنتَ أَمَرت بها، فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يومًا -وقال مقاتل: بل هو يوم ولد-: إني عبد الله، أقرَّ على نفسه بالعبودية لله عز وجل أول ما تكلَّم؛ لئلَّا يُتَّخَذ إلـهًا)[1].

- وقال سبحانه: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[آل عمران: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[المائدة: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾[مريم: ٣٠]؛ فالقرآنُ يُثبِت أنه رسولٌ، وأنَّ ما جاء به وحي، والكفر به كفرٌ بجميع الأنبياء والمرسلين[2]. قال ابن كثير: (قال: ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾؛ أول شيء تكلَّم به أن نَزَّهَ جنابَ ربِّه تعالى، وبرَّأ اللهَ عن الولد، وأثبت لنفسه العبودية لربه)[3]. وقال ابن عاشور: (كلام عيسى هذا مما أهملته أناجيل النصارى؛ لأنهم طووا خبر وصولها إلى أهلها بعد وضعها، وهو طيٌّ يُتعجَّب منه. ويدل على أنها كُتبت في أحوال غير مضبوطة، فأطلع الله تعالى عليه نبيَّه ﷺ، والابتداء بوصف العبودية لله ألقاه الله على لسان عيسى؛ لأنَّ الله عَلِم بأن قومًا سيقولون: إنه ابن الله)[4].

- ويخاطب ربُّنا عبدَه عيسى عليه السلام يوم القيامة، ويسأله عن دعوته للناس[5]، فيقول سبحانه:

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي ٥/ ٢٣٠.

(٢) انظر: محاضرات في النصرانية، لأبي زهرة، ص٢٠-٢١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٥/ ٢٢٨.

(٤) تفسير التحرير والتنوير ١٧/ ٢٨.

(٥) اختلف المفسرون عن وقت هذا الخطاب والسؤال؛ فقال بعضهم: إن هذا كان في الدنيا، وقال آخرون: هو يوم القيامة، قال ابن كثير: (والذي قاله قتادة وغيره هو الأظهر، والله أعلم: أن ذلك كائن يوم القيامة؛ ليدل على تهديد النصارى وتقريعهم وتوبيخهم على رؤوس الأشهاد يوم القيامة. وقد روي بذلك حديث مرفوع، رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي عبد الله، مولى عمر بن عبد العزيز، وكان ثقة، قال: سمعت أبا بردة يحدث عمر بن عبد العزيز عن أبيه أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا كان يوم القيامة، دعي بالأنبياء وأممهم، ثم يدعى بعيسى فيُذكِّره الله نعمته عليه، فيقر بها، فيقول: ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾[المائدة: ١١٠]، ثم يقول: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؟ فينكر أن يكون قال ذلك، فيؤتى بالنصارى فيسألون، فيقولون: نعم، هو أمرنا بذلك، قال: فيطول شعر عيسى، عليه السلام، فيأخذ كل ملك من الملائكة بشعرة من شعر رأسه وجسده. فيجاثيهم بين يدي الله عز وجل، مقدار ألف عام، حتى ترفع عليهم الحجة، ويرفع لهم الصليب، وينطلق بهم إلى النار". وهذا حديث غريب عزيز. انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٣/ ٢٣٢- ٢٣٣.

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾[المائدة: ١١٦-١١٧].

وعندما يعود عيسى إلى الأرض يعود بتأكيد دعوة التوحيد، كما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده، ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابنُ مريم حَكمًا مُقسِطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد)(١).

بطلان القول بالتجسد:

إنَّ الفاحص لأناجيل العهد الجديد، يجد أنَّ الأناجيل الأربعة لم تتفق على عقيدة التجسد، إذْ وردت فيها روايات متضاربة متناقضة جدًّا حول مسألة تجسد الإله في المسيح؛ ففي إنجيل مرقص -مثلًا- لا تجد ذِكرًا لموضوع تجسد الإله في المسيح نهائيًّا، أمَّا إنجيلا متى ولوقا؛ فإنهما يقولان بأن الإله صار جسدًا في المسيح دون أيِّ أدلة على ذلك، بل إن هناك من يرى أن القديس بولس لم يذكر كلمة واحدة عن كيف تحوَّل المسيح الإنسان إلى إله، وأما إنجيل يوحنا؛ فيكتفي بالقول دون أن يذكر شيئًا من التفاصيل(٢).

ويؤكد هذا التضارب بين الأناجيل أن بعض النصارى يعترفون أن إنجيل يوحنا المتأخر كتابة، هو أول ما ذكر التجسد وصرَّح بألوهية المسيح، وأن الأناجيل السابقة لم يصرِّح أيٌّ منها بألوهية المسيح أو تجسُّده، وأن يوحنا إنما صنَّف كتابه في آخر حياته بطلب من أساقفة آسيا

(١) رواه البخاري في صحيحه، (٢/ ٨٧٥)، حديث رقم (٢٢٢٢). كتاب المظالم، باب: كسر الصليب وقتل الخنزير.

(٢) انظر: الأصول الوثنية للمسيحية، ص٣١. وفي الأناجيل الأربعة ما يهدم عقيدتهم هذه؛ إذْ فيها نصوص كثيرة تثبت الانفصال بين الله والمسيح وبين الروح القدس، بل فيها نصوص كثيرة تدل على أنّ المسيح جاع وعطش وتألم، وهذا كله يتنافى مع ألوهيته، وبالتالي يهدم نظرية تجسده واتّحاده. انظر: يوحنا ٤/ ١-٢١، متى ٤- ١-١١.

وغيرها؛ وذلك لأنَّ بعض الطوائف كانت تُنكِر لاهوت المسيح، فطلبوا منه إثباته[1].

وقد بيَّن ابنُ تيميَّة أنَّ ما ينقله النصارى عن الأنبياء لا يمكن قَبولُه لضَعْفِه ولافتقاده لضوابط مهمة، فيقول: (وإذا كان كذلك، فما ينقلونه عن الأنبياء إنما تتم الحجة به إذ علم إسناده ومتنه، فيُعلَم أنه منقول عنهم نقلًا صحيحًا، ونعلم أن ترجمته من العبرية إلى اللسان الآخر، كالرومية والعربية والسريانية ترجمة صحيحة، ويعلم بعد ذلك أنهم أرادوا به ذلك المعنى. وليس مع النصارى حجة عن الأنبياء تثبت فيها هذه المقدِّمات الثلاث، ونحن في هذا المقام يكفينا المنع، والمطالبة لهم بتصحيح هذه المقدمات؛ فإنهم ادَّعَوا أنَّ التثليث أخذوه عن الأنبياء، فنحن نطالبهم بتصحيح هذه المقدمات)[2].

وعقيدة التجسد صعبة على الفَهْم، لا تتقبلها العقول السليمة، وقد اعترف بعض النصارى بأنَّ فهمها فيه صعوبة شديدة، ولا يمكن للعقل أن يستوعبها، وأن الإجابة على هذه الأسئلة المركزية:

كيف تجسَّد الكلمة؟ وكيف صار جسدًا؟ وكيف اتخذ الله صورة العبد؟ وكيف حلَّ اللاهوت في الناسوت؟ مما لا يدركه العقل، لا عقل بشر، ولا حتى أسمى وأرفع الملائكة رتبةً؛ فهو سِرٌّ يفوق إدراك جميع المخلوقات، ولا يعلمه سوى الله وحدَه؛ لأنه يختص به وحده[3]. وأكد هذا المعنى القديس كيرلس الكبير، حيث قال: (بأيَّة كيفية يصير جسد الرب – المخلوق- مُحييًا خالقًا؟ هذا سرٌّ لا يستطيع فِكرُ الإنسان أن يسبر غَوْرَه، ولا أي لسان أن يعبِّر

(١) ذكر هذا الشيخ عبد الرحمن بن سليم البغدادي، الشهير بالباجه جي زاده، وبيَّن خلاصة النقول عن النصارى في شأن تضارب الأناجيل، فيما يلي:

١- أن الطبقة الأولى كانت تُنكِر لاهوت المتجسد.

٢- سقوط دعوى أن الإنجيل كُتِبَ بالإلهام؛ حيث إن إنجيل يوحنا كتب بالالتماس والطلب.

٣- أن أساقفة الطبقة الثانية هم من ابتدع هذا الضلال.

انظر: الفارق بين المخلوق والخالق، عبد الرحمن الباجه جي، ص٥١٤- ٥١٥.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣/ ٢٣٩.

(٣) انظر: سر التجسد الإلهي، عبد المسيح بسيط أبو الخير، ص٦٣.

عنه، ولكنه جديرٌ بأن يُعبَد في صمت وإيمان)[1]، وهذا يعدُّ اعترافًا بضعف أفهام ومدارك البشر، وأنهم -لضلالهم وجهلهم- تبعوا ما لا يفهمونه ويعقلونه.

وقد حاولوا أن يُـجيبوا عن مفهوم اتحاد اللاهوت بالناسوت وتجسُّد الكلمة، وبيَّنوا أنهم رغم الاجتهاد الذي بذلوه، فإن الإجابة التي وصلوا لها فيه من القصور الذي تلزمنا به طبيعتنا البشرية، وأنَّ ما نالوه من الفهم لا يتجاوز السطحيات والقشور، وأنَّ الأسرار العميقة الخاصة بالإله تبقى من الأسرار التي لا تنكشف بوضوح[2].

وتبقى محاولاتهم في تصور قضية التجسد -كما يشير أبو زهرة- قد أجهدتهم وكلَّفَتهم ما لا يُطيقون؛ لذلك لم يحاولوا أن يتَّجهوا إلى العقل لجعل إثبات القضية من بدهياته، فإنَّ ذلك ليس في قدرة أحدٍ من البشر -جمع النقيضين والتوفيق بين الأضداد- وقضيَّتُهم والبداهة العقلية نقيضان لا يجتمعان[3].

كذلك صرَّحت الأناجيل في مواضعَ كثيرةٍ بتغاير طبيعتي الله ﷻ والمسيح عليه السلام، ومن هذه المواضع ما ورد على لسان المسيح فيما نُسِب إليه: (إني أصعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم)[4]، وجاء أيضًا: (أبي أعظم مني)[5]، وجاء أيضًا: (الكلام الذي تسمعونه ليس لي، بل للآب الذي أرسلني)[6]، فدلَّت هذه النصوص على المغايرة بين الله ﷻ والمسيح عليه السلام.

ويمكن أن يوجَّه لعقيدة التجسد من النظر والرأي العقلي ما يلي:

- إنَّ أبرز ما يُبطل التجسُّد وما قاله النصارى من اتحاد اللاهوت بالناسوت، أنَّ الاتحاد بين الجوهر اللاهوتي والناسوتي إذا كان حقيقيًّا، لكان أقنوم الابن محدودًا متناهيًا، وكل ما كان كذلك كان قبوله للزيادة والنقصان ممكنًا، وكل ما كان كذلك كان اختصاصه بالمقدار المعين

(١) التجسد الإلهي في تعليم كيرلس الكبير لمتى المسكين، ص٢٢-٢٣.

(٢) انظر: التجسد حتمية دينية، راغب عبد النور، ص١٤.

(٣) انظر: محاضرات في النصرانية، ص٩٧.

(٤) يوحنا ٢: ١٧.

(٥) يوحنا ١٤: ٢٨.

(٦) يوحنا ١٤: ٢٤.

لتخصيص مخصص وتقدير مقدَّر، وكل ما كان كذلك، فهو مُحدَث، فيلزم أن يكون أقنوم الابن محدَثًا، ويستلزم حدوثه حدوث الله[1].

- يقول النصارى بأن حقيقة التجسد هي: أنَّ المسيح هو الإله الذي أصبح ظاهرًا في الجسد البشري، وإذا كان كذلك، فيمكن أن يُرَدَّ عليهم بما ورد ذِكرُه عند علماء الجدل؛ بأنَّ الروح القدس الله الظاهر في الجسد، فإن قالوا: الكلمة هو الذي تجسد، قيل: الثالوث المقدس تجسد. وإن قيل في الكلمة: إنه ابن الله، والمولود منه، قيل: وإن روح القدس هو ابن الله المولود منه، وإن قيل في الروح القدس: إنه الحياة، قيل في الابن: إنه الحياة، وإذا قيل: الابن ناطق بذاته، قيل في الروح القدس: إنه ناطق بذاته، وإن قيل: الآب موجود بذاته، قيل: الابن موجود بذاته، وإن قيل: الروح القدس منبثق من الآب، أو الآب والابن، قيل: الابن منبثق من الروح القدس، وإن قيل: الابن هو الكلمة المتجسد، قيل: الروح هو الكلمة المتجسد، فتبطل عقيدة التجسد كلُّها؛ إذ لا يمنع هذا ذاك ولا ذاك هذا، فإذا جوز ذلك جوزنا هذا، وإلَّا لَبَطَلَ الجميعُ.

وإذا كان الابن الأزلي قد نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس ومريم العذراء التي حبلت به، فلِمَ لا تكون مريم إلهة كما نال الروح القدس الألوهية؟ وما الفرق بينها وبين ولدها في ذلك وقد حلَّ فيها روح القدس؟ فالعقلُ يحكم بأن إذا استحق ولدها الألوهية بحلول الكلمة والروح فيه، فقد حلَّت فيها الكلمة والروح، وإلَّا فلا[2].

- كما رد علماء الجدل من المسلمين[3]، وقرَّروا أنَّ هذا التجسد والاتحاد بين اللاهوت

(١) انظر: إظهار الحق ٣/ ٧٢٧.

(٢) انظر: الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، لأبي حامد الغزالي، ص٥١؛ النصيحة الإيمانية، لنصر بن يحيى، ص١٢٩.

(٣) ناقش عدد من علماء الجدل مسألة ألوهية المسيح وتجسده، ومسألة التثليث باستفاضة، وصنَّفوا في ذلك مصنفات مشهورة، ومن أبرزها: الرد على النصارى للقاسم الرَّسي، والفصل في الملل والنحل لابن حزم، والرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل للغزالي، والنصيحة الإيمانية لنصر بن يحيى المتطبب، وأدلة الوحدانية وكذا الأجوبة الفاخرة عن

والناسوت، مما لا يُعقَل. وأمَّا اتحادُ الشيئين؛ فإمَّا أن يصيِّرَهما شيئًا واحدًا، أو أن يبقيا اثنين كما كانا قبل الاتحاد.

فإن بقيا اثنين فهنا لم يحدث الاتحاد، وإن اتَّحدَا وصارا شيئًا واحدًا؛ فقد عُدم أحدهما وبقي الآخر، وهذا مُنافٍ للاتحاد، وإن كان الآخر ليس هو أحدهما، فلا بد من التغير والاستحالة، وهنا يبطل الاتحاد بالعقل(١).

ومن مخالفته لبداهة العقول، قول أبي عبيدة الخزرجي: (إنَّ القول بأنَّ المسيح نصفُه إله تام والآخر ليس إله، يلزم إذا دُعي أن يقال: يا نصف إله ارحمنا! وإذا قيل: مَن الإله؟ يقال: نصف المسيح! فيكون نصفه خالقًا ونصفه مخلوقًا، فيكون نصفه معبودًا لنصفه وليس بإله تام، بل بدنه يكون معبودًا، فإذا كان كله إلهًا يؤدى ذلك -لا محالة- لعبادة غير الله، وبذلك يكون لا فرق بين الله وبين مخلوقاته، وهذا باطل)(٢).

ومن المتقرر عن أهل الإسلام، أن العقيدة التي لا تكون إلهية المصدر، تكون حاملة في داخلها ما يكشف فسادها؛ من التناقض، ومخالفة العقل والنظر الصائب. كيف وأصول هذه العقيدة -كما مر بنا- أصول وثنية؟ تناقلها الناس من جيل إلى جيل، وزادوا ونقصوا، حتى صارت هذه العقيدة الوثنية مخالطةً لعقائد سماوية فأفسدتها، وحرَّفت ما جاء من هدايات ربِّ العالمين، وآمَن بها كثيرٌ من أهل الضلال.

=الأسئلة الفاجرة للقَرَافي، وتخجيل من حرَّف لتوراة والإنجيل للجعفري، والجواب الصحيح لابن تيمية، وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم.

(١) فصَّل القول في هذا شيخ الإسلام ابن تيمية، وأطال في نقد المسألة. انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/ ٢٦٧.

(٢) مقامع هامات الصلبان، أبو عبيدة الخزرجي، تحقيق: عبد المجيد الشرفي، ص٨٤.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنِعَمِه تتمُّ الصالحات؛ وبعدُ:

في ختام هذه الدراسة المختصَرة، أُسجِّل هنا بعض النتائج:

- أنَّ فكرة التجسُّد وُجدت قديمًا في أديان الهند، ومنها: الهندوسيَّة، والبوذيَّة.
- أنَّ عقيدة التجسد انتقلت من بلاد الهند إلى اليونان، ومنها إلى أرض الرومان، وبهذا تكون قد دخلت أوروبا وظهرت في عقائد أهلها.
- يعود ظهور معتقد التجسد إلى دور بولس المؤثِّر في نقل بعض الوثنيَّات الإغريقيَّة من اليونان، والتي انتقلت إليهم من الوثنيَّات الهنديَّة.
- أنَّ أوائل الفِرَق والطوائف النصرانيَّة، كانت موحِّدةً أو قريبةً من التوحيد، ولم تَقُلْ بالعقائد الوثنيَّة، قبل أن تتلوث عقائد النصرانية بأفكار بولس.
- أنَّ إنجيل يوحنا هو الذي جاء فيه التصريحُ بتجسُّد المسيح، وحلول اللَّاهوتِ في الناسوتِ.
- أنَّ قرارات المجامع الكنسيَّة كانت من أهمِّ ما ثبَّت عقيدة التجسد، وأَعْطَتْ هذ العقيدةَ مزيدًا من الرسوخ والقوَّة.
- أنَّ المسيح عند الكاثوليك والبروتستانت كاملٌ في اللَّاهوت وكاملٌ في الناسوت، وقد اتَّحدت الطبيعتان اتِّحادًا لا يقبل الانفكاكَ.
- أنَّ اتحاد اللاهوت والناسوت عند الأرثوذكس، اتِّحادٌ كاملٌ نَتَجَ عنه طبيعةٌ واحدة، فهو صورة إنسانيَّة، وحقيقةٌ إلهيَّة.
- أنَّ للتجسُّد عند النصارى غاياتٍ وأهدافًا، من أهمها:

١- حصول الفداء. ٢- تَأْلِيهُ الإنسان. ٣- شراكةُ المسيحِ مع اللهِ في خصائصه. ٤- اقترابُ الإلهِ من البَشَر وإيناسُهم.

- أنَّ عيسى عبدُ اللهِ ورسولُه، نبيٌّ مرسَل، ليس له من خصائص الألوهيَّة شيءٌ، ودعوى أُلُوهِيَّتِه أو تجسده، يردُّها النقلُ الصحيح، والنظرُ العقليُّ الصريح.

توصيات:

- دراسة رؤية فرق النصارى التجديدية كالآميش في العقائد المركزية، كالتثليث وأولوهية المسيح والصلب والفداء.
- تتبع الأثر الإلحادي في التزام طوائف النصارى بالشعائر والمعتقدات الدينية.

❁❁❁

المصادر والمراجع

١. إبراهيم، يوحنا وآخرون، موسوعة آباء الكنيسة، تحرير: عادل فرج عبد المسيح، دار الثقافة، ط٢، ٢٠٠٦م، القاهرة.

٢. ابن العديم، كمال الدين، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، د.ط، د.ت، بيروت.

٣. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح، دار العاصمة، ط٢، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م، الرياض.

٤. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنِّحَل، نشر: مكتبة الخانجي، د.ط، د.ت، القاهرة.

٥. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، ط١، ١٩٨٤ه، تونس.

٦. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٧. أبو الخير، عبد المسيح بسيط، سر التجسُّد الإلهي، بيت مدارس الأحد، ط٢، ٢٠٠٢م، القاهرة.

٨. أبو زهرة، محمد، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام- دَحْض شبهات ورَدُّ مفتريات، دار الكتب الحديثة، د.ط، د.ت، القاهرة.

٩. أبو زهرة، محمد، محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي، ط٣، د.ت، القاهرة.

١٠. الأرو، عبد الرزاق بن عبد المجيد، مصادر النصرانية، دار التوحيد للنشر، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، الرياض.

١١. الإسكندري،كيرلس، رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكي، ترجمة: د. موريس تاوضروس، د. نصحي عبد الشهيد، نشر مؤسسة القديس أنطونيوس- المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ط٢، ٢٠٠١م، القاهرة.

١٢. الأعظمي، محمد ضياء الرحمن، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، مكتبة الرشد، ط٢، ٢٠٠٣م، السعودية.
١٣. أنس، جيمس، علم اللاهوت النظامي، مراجعة وتنقيح: منيس عبد النور، الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة، د.ط، د.ت، القاهرة.
١٤. باسوك، دانييل، المسيحية وأساطير التجسُّد، ترجمة: سعد رستم، مكتبة الأوائل، ط١، ٢٠٠٢م.
١٥. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٦. بسترس، الأب سليم، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، منشورات المكتبة البولسية، ط٣، ١٩٩٥م، بيروت.
١٧. البصري، مهدي حسين، موسوعة الأديان "التوحيد، الخلق، القيم"، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٣م، الأردن- عمان.
١٨. البغوي، أبو محمد الحسين بن الفراء، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت، بيروت.
١٩. بوكاي، موريس، الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م.
٢٠. البيروني، محمد بن طاهر التنِّير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تحقيق ودراسة: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الصحوة، ط١، ١٩٨٩م، القاهرة.
٢١. جنيبير، شارل، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة: عبد الحليم محمود، منشورات المكتبة العصرية، د.ط، د.ت، صيدا، بيروت.
٢٢. جوتيه، ليون، مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية، ترجمة: محمد يوسف موسى، ط: باريس، ١٩٢٣م.
٢٣. حسين، د. إياد محمد، المرجعيات الفكرية والفلسفية للديانة الزرادشتية "وتأثرها

بالديانات السماوية اليهودية والمسيحية"، بحث منشور في مجلة جامعة بابل للدراسات الإنسانية، مجلد ١٠، عدد ١، ٢٠٢٠م.

٢٤. حلمي، بيشوي، إيماننا المسيحي صادق وأكيد، دار نوبار، ط٤، ٢٠٠٦م، القاهرة.

٢٥. حلمي، بيشوي، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، دار نوبار، ط١، ٢٠٠٧م، القاهرة.

٢٦. حماية، د. محمود، دراسات في الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد)، مكتبة النافذة، ط٢، ٢٠٠٦م، الجيزة.

٢٧. الخزرجي، أبو عبيدة، مقامع هامات الصلبان، تحقيق: عبد المجيد الشرفي، مركز الدراسات والأبحاث، ١٩٧٥م، تونس.

٢٨. دنتسنغر- هونرمان، الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، ترجمة: المطران يوحنا منصور والأب حنا الفاخوري، منشورات المكتبة البولسية، ط١، ٢٠٠١م، بيروت.

٢٩. ديورانت، ول "ويليام جيمس ديورَانت"، قصة الحضارة، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، بيروت، تونس.

٣٠. رستم، سعد، الفِرَق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم، الأوائل للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، دمشق.

٣١. الرسولي، القدِّيس إثناسيوس، تجسد ربنا يسوع، تعريب وتعليق: د. جورج بباوي، نشر: مؤسسة القديس أنطونيوس، سلسلة كتابات الآباء، مطبعة دار يوسف كمال، د.ط، ١٩٨٣م، القاهرة.

٣٢. زاده، عبد الرحمن الباجه جي، الفارق بين المخلوق والخالق، دار عمار، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، عمَّان.

٣٣. شلبي، أحمد، أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، ط ١١، ٢٠٠٠م، القاهرة.

٣٤. شلبي، أحمد، المسيحية، مكتبة النهضة المصرية، ط١١، ٢٠٠٢م، القاهرة.

٣٥. شلبي، رؤوف، الأديان القديمة في الشرق، دار الشروق، ط١، ١٩٨٠م، القاهرة.

٣٦. عبد النور، راغب، التجسد حتمية دينية، نشر: كنيسة السيدة العذراء، ١٩٧٩م، القاهرة.

٣٧. عبد النور، راغب، الكلمة صار جسدًا وحلَّ بيننا، طبع مدارس التربية الكنسية، كنيسة الشهيد مارجرجس، د.ط، د.ت، سبورتنج.

٣٨. عبد الواحد، علي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، دار نهضة مصر للطبع والنشر، د.ط، د.ت، القاهرة.

٣٩. عبد الوهاب، أحمد، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، مكتبة وهبة، ط٢، ١٩٨٨م، القاهرة.

٤٠. عزيز، فهيم، المدخل إلى دراسة العهد الجديد، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، ١٣٠٤هـ.

٤١. الغزالي، أبو حامد، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، تحقيق وتعليق: أبي عبد الله السلفي آل زهوي، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٠هـ، بيروت.

٤٢. فريق من المؤلفين والمترجمين، الموسوعة العربية العالمية، نشر: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م، الرياض.

٤٣. فرييه، فرنسيس، التجسد، ترجمة: لويس أبادير، منشورات المعهد، د.ط، د.ت، المعادي.

٤٤. الفغالي، الخوري بولس، المدخل إلى الكتاب المقدس، المكتبة البولسية، ط١، ١٩٩٤م، بيروت.

٤٥. فليمنج، دون، التفسير المعاصر للكتاب المقدس، الكنيسة الإنجيلية، ط١، ٢٠٠٤م، القاهرة.

٤٦. فيتل، عبد الجليل فانتهان، شنكر آجاريا في نشر الفلسفة اللاثنائية (أوديتا)، مجلة ثقافة الهند، مجلد ٦٦، عدد ٣، ٢٠١٥م.

٤٧. قاموس الكتاب المقدس، نسخة إلكترونية.

٤٨. القشيري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت، بيروت.

٤٩. كساب، الأرشمندريت حنانيا إلياس، مجموعة الشرع الكنسي (قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة)، منشورات النور، ط٢، ١٩٩٨م، بيروت.

٥٠. المتطبب، نصر بن يحيى، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، تحقيق: محمد الشرقاوي، دار الصحوة، ١٤٠٦هـ، القاهرة.

٥١. المسكين، متَّى "يوسف إسكندر"، الإيمان بالمسيح، مطبعة دير القديس أنبا مقار، ط١، ١٩٧٠م، وادي النطرون- القاهرة.

٥٢. المسكين، متَّـى، التجسد الإلهي في تعليم كيرلس الكبير، دير القديس أنبا مقار بوادي النطرون، ط٢، ١٩٩٢م.

٥٣. ميخائيل، برسوم، موسوعة الحقائق الكتابية، دار الإخوة المتحدين للنشر، ط١، د.ت.

٥٤. نايتون، أندريه وآخرون، الأصول الوثنية للمسيحية، ترجمة: سميرة الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، د.ط، د.ت.

٥٥. الندوي، محمد إسماعيل، الهند القديمة- حضاراتها وديانتها، دار الشعب، د.ط، د.ت، القاهرة.

٥٦. النمر، عبد المنعم، تاريخ الإسلام في الهند، مكتبة الأسرة، د.ط، ٢٠٠٢م، القاهرة.

٥٧. الهندي، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن، إظهار الحق، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، نشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م، السعودية.

٥٨. هنري، متَّى، التفسير الكامل للكتاب المقدس، مطبوعات إيجلز، ط١، ٢٠٠٢م، القاهرة.

٥٩. هول، يوسف، الوحدة الحقيقية بين المسيح والنفس التقية، تعريب: زخاري أفندي، مطبعة النيل المسيحية، ط٣، ١٩٣٩م، القاهرة.

٦٠. وصفي، محمد، المسيح والتثليث، تقديم: محمد السمَّان، دار الفضيلة، د.ط، د.ت، القاهرة.

٦١. اليسوعي، الأب صبحي حموي، معجم الإيمان المسيحي، دار المشرق بالتعاون مع مجلس كنائس الشرق الأوسط، ط٢، ١٩٩٨م، بيروت.

❁❁❁

Publication Rules

- All research papers must adhere to Sharia guidelines, educational policies, and regulations of the Kingdom of Saudi Arabia.
- Manuscripts submitted should represent original and novel works.
- Adherence to well established scientific methodology.
- If the research paper has been previously published elsewhere in any from, JSSIS does not bear any legal consequences for this.
- The research paper can be part of a book or derived from a thesis in which the author obtained a degree.
- Original manuscripts should not exceed 10,000 words in length. If exceeds it shall be treated as more than one research paper.
- Arabic and English abstracts should include the following: research topic, research problem, objectives, methodology, and the most important results.
- Research introduction should present title, research problem, questions, methodology, literature, main contribution, and plan.

Publication guidelines

- Authors should submit their works through the journal's email: almajallah@kku.edu.sa
- Font: Traditional Arabic.
- Body Font Size: (16), footnotes and references: (12), titles: (18).
- **The researcher must attach the following:**

- A summary of up to (200) words in both English and Arabic. English summary should be certified by accredited translation body.
- Curriculum Vitae, including: (Name, scientific degree, area of specialization, current employment, important scientific achievements, correspondence address, e-mail address, mobile number)

- **Adherence to the following documentation and referencing methods of research sources:**

- Citing the book title and author(s), including any publication information.
- Inserting footnotes at the bottom of each page, and footnotes numbers should be between brackets.
- Writing the Quranic verses in accordance to the Uthmani script followed by their reference, and can be downloaded from the following link: https://nashr.qurancomplex.gov.sa/site/
- The bibliography attached at the end of the research paper must be complete and not concise for each reference, and must be written in MLA style.

Review and Publication Process

1. All research will be subject to scientific review, in accordance to the widely recognized scientific rules and regulations.
2. The order of research papers when published will be subject to technical and chronological considerations.
3. The journal reserves the right to publish the research paper in the edition it deems suitable, or republish it in any form if it considers that necessary.
4. The published material expresses the opinions of its authors and does not necessarily reflect the opinion of the journal.

Journal Title

King Khalid University Journal for Sharia Sciences and Islamic Studies. Abha: (9010)

Correspondence should be directed to the Chairman of the Journal's Editorial Board Email: almajallah@kku.edu.sa

King Khalid University's Journal of Sharia Sciences and Islamic Studies

Vision:

To become the region's leading journal in academic research publication and be classified in the ranks of the world's top journals for research publications.

Mission:

To enrich scientific movement by advancing the research of Sharia studies in all its different branches, and provide researchers with the opportunity to publish their work on a platform that will become the University's cultural and inspired interface.

Values:

- Trust
- Fairness
- Moderation
- Perfection

Journal's Objectives:

1. Serving specialised research in religious sciences in accordance to the correct approach.
2. Addressing contemporary problems and emerging issues in accordance to Sharia principles.
3. Enriching the scientific movement with distinguished research to achieve the university's' vision, mission and goals.
4. Finding a method of publishing religious sciences to enable researchers to publish their research in accordance to the scientific research process.
5. Scientific and research communication with specialists in the field of Islamic Studies everywhere.
6. Focus on studying and publishing the Islamic heritage.

One: Publishing Rules:

1. The research must be categorized as original and inventive.
2. The research must comply with the widely accepted rules of scientific research.
3. The research must not be derived from a book, or a dissertation or a thesis by which the author has obtained a degree.
4. The research must not have been previously published, or sent for publication in another scientific or periodical journal.